

الباب الأول

## الأحداث في المعتزك السياسي

الفصل الأول : الإعداد للعدوان

الفصل الثاني : العدوان





وبعد أن اقتنعت الولايات المتحدة بعدم جدوى هذا الأسلوب تحول فكرها الى اللجوء لمجلس الأمن لحل المشكلة ، إلا أن اعتراض أغلب أعضائه على ذلك جعل الولايات المتحدة تضعها مؤقتا على الرف .

والواقع أن مشكلة قناة السويس ذات جذور عميقة فى الصراع الدائر بين الحق والباطل فحق مصر فى تأميم شركة القناة يستند إلى القانون ويدعمه أكثر من ثلثى شعوب العالم . وعلى الطرف المضاد تقف المملكة المتحدة وفرنسا وقلّة من حكومات أوروبا الغربية تريد أن تعيد عقارب التاريخ للخلف ، وتستأنف أمبريالية القرن التاسع عشر على المناطق الكثيرة التى كانت تستعمرها وتنهب خيراتها .

ورغم ما بذل من جهود صادقة للوصول بالأزمة إلى حل عادل بوعد حكومة مصر تعويض حملة أسهم شركة القناة ، وفتح الملاحة فيها لجميع الدول بلا تفرقة فإن حكومتى المملكة المتحدة وفرنسا لم تدخرا وسعا فى إحباط تلك الجهود لسابق عزمهما على شن الحرب على مصر .

ولذلك ، فبعد نجاح السكرتير العام للأمم المتحدة فى عقد إتفاق بين وزير خارجية مصر ووزيرى خارجية المملكة المتحدة وفرنسا فيما بين ٩ و ١١ أكتوبر ١٩٥٦ ، قبل به كافة الأطراف مناقشة المشاكل الناشبة بينهم ، فى صورة ست مبادئ تتم مناقشتها النهائية فى اجتماع تالٍ ، يعقد بينهم يوم ٢٩ أكتوبر فى جنيف ، ظهر أن نفس هذا اليوم كان هو الموعد الذى حددته حكومات العدوان الثلاثى لتبدأ الحرب فيه !

## الفصل الأول

### الإعداد للعدوان

تهديد - فشل المملكة المتحدة وفرنسا - انتقال الأمانة لمجلس الأمن - سياسة مصر في الأمم المتحدة - المفاوضات السرية في مكتب همر شولد - اجتماع باريس - معاهدة سيفر - الولايات المتحدة تتأكد .

#### تهديد :

جاء قرار مصر بتأميم شركة قناة السويس في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ كصدمة للغرب وخاصة المملكة المتحدة وفرنسا ، فإضطرب مجرى سياستهما نتيجة لهذا الاجراء الذي فاجأهما فعمدنا الى بذل الجهود المضنية لإلغاء هذا التأميم ولكن كتب عليها الفشل . وصاحب تلك الجهود تهديدات كثيرة وتلويحاً بالحرب وبالعقوبات الاقتصادية . ومن ناحية أخرى بادر وزير خارجية الولايات المتحدة بالاجتماع برئيسى وزراء المملكة المتحدة وفرنسا حيث أتفق الرأى بينهم على توجيه دعوة للدول المستخدمة للقناة للنظر فى المشكلة ، واتخاذ قرار بشأن قيام حكومة مصر بحرق اتفاقية عام ١٨٨٨ ، كما دعوا إلى تدويل القناة .

وعقد مؤتمر لندن الأول فى ١٦ أغسطس ١٩٥٦ من ممثلى اثنتين وعشرين دولة ، وتقدمت السولايات المتحدة بمشروعها الذى أطلق عليه فيما بعد الثمان عشر دولة ، ويتضمن إنشاء إدارة دولية للقناة International - Board .

وشكلت لجنة خماسية برئاسة « المستر روبرت منزيس »(\*) لعرض نتيجة المؤتمر على الحكومة المصرية التى أعلنت رفضها للمشروع ، مع حرصها على تكرار عروضها السلمية ، مثل عقد مؤتمر من الدول المستخدمة للقناة ، أو تشكيل هيئة مفاوضة للوصول إلى حل يتفق مع ما قررتة اتفاقية القسطنطينية عام ١٨٨٨ ، دون المساس بسيادة مصر وحقوقها المشروعة .

وعندما اجتمعت الدول الثمان عشرة في لندن في ١٩ سبتمبر ١٩٥٦ للنظر في الوضع الجديد ، تقدمت الولايات المتحدة بمشروع يقضى بإنشاء جمعية للمتفاعلين بقناة السويس ، على أن يكون أهم وظائفها تحصيل رسوم القناة من الدول الأعضاء ، على أن يدفع جزء منها لمصر وتمر سفن الدول الاعضاء في القناة بمرشدين من قبل الجمعية ، غير أن الدول الثمان عشرة لم تتفق حول تلك الفكرة ، وبدت في الأفق اتجاهات إن لم تكن متضاربة فهي مختلفة في كثير من التفاصيل الهامة ، بحيث لا يمكن القول أن هذه الدول اجتمعت كلمتها على قرار واحد يمكن أن تقوم على تنفيذه .

وخلال تلك الايام بذلت المملكة المتحدة وفرنسا جهودا كثيفة لوضع العراقيل أمام الإدارة المصرية للقناة وإرباك الملاحة فيها ، كما سحبتا مرشديهما وحرصتا بعض الدول الاخرى للاقتداء بهما حتى يظهر أمام الرأي العام العالمى أن مصر فشلت فى ادارة القناة ولم تستطع تحمل تبعاتها ومسئولياتها .

على أن مصر استطاعت أن تمسك بزمام الموقف رغم تلك المحاولات وغيرها ، وساعدها على ذلك عاملان هامين :

**الأول :** أن مركزها من الناحيتين القانونية والفعالية كان قويا سليما ، فالتأميم حق مشروع لمصر ، شأنها فى ذلك شأن جميع الدول التى لجأت إليه ، ثم إن القناة ملك مصر وهى التى تتحكم فيها .

**والثانى :** أن مصر نجحت رغم سحب المرشدين فى تسيير الملاحة فى القناة بصورة أقنعت الرأي العام العالمى بجدارتها فى إدارة القناة .

### **فشل المملكة المتحدة وفرنسا :**

وبعد فشل مؤتمر لندن الثانى وكذا فشل مؤامرة سحب المرشدين ، لم يبق للمملكة المتحدة وفرنسا إلا طريقا واحداً هو العدوان على مصر . ولم تكن مؤتمرات لندن أوالاتصالات مع الولايات المتحدة قد أوقفت الاستعدادات العسكرية ، فحركات القوات مستمرة ، وحشد القوات فى قبرص ومالطة يسير فى طريقه المرسوم ، والقياداتان الفرنسية والبريطانية تنسقان الخطط وترتبان عملية غزو مصر<sup>(١)</sup> .

وإذ يئست الدولتان - المملكة المتحدة وفرنسا - من إمكان حمل مصر - بالطرق السلمية - على قبول حل يحقق أغراضهما . وتحت الضغط المتزايد لعدم استخدام القوة سواء من جانب الدول التي وافقت على الانضمام الى جمعيه المتضمين ، أو التي عارضتها ، أو من جانب الرأي العام العالمى الذى عارض بشدة سياسة اللتجاء للقوة ، تظاهرت الدولتان بالجنوح للسلم وتقدمتا بشكوى يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٥٦ الى مجلس الامن ضد مصر بأنها أنهت من جانب واحد نظام الإدارة الدولى لقناة السويس الذى أكدته ، وأكملته معاهدة ١٨٨٨ ، كما قدمت مشروع قرار إلى مجلس الأمن بفرض قرارات الدول الثمان عشرة كأساس لحل مشكلة القناة (٢) .

وفى ٢٩ سبتمبر سافر أنتونى إيدن وسلوين لويد إلى باريس لإجراء مباحثات مع جى موليه وكورستيان بينو . وصدر بيان بعد تلك المباحثات يزعم أن الهدف منها هو تقوية التضامن الأنجلوفرنسى فى كل مجال ، وأن ذلك قد تحقق خاصة بالنسبة للسياسة التى تنتهجها الدولتان عند نظر مسأله قناة السويس أمام مجلس الأمن . . . ثم نوه البيان عن تقوية التحالف الغربى والتصميم على تحقيق نتائج إيجابية فى هذا المجال (٣) .

وعند مغادرة المستر إيدن لمطار ليه بورجيه بباريس صرح بأن العمل الذى قام به الرئيس عبد الناصر لم يهدد فقط المصالح الاقتصادية للكثير من الدول وإنما شكّل اقتتاتا على شرعية المعاهدات الدولية والشقه المتبادل بين الحكومات . لقد كان هذا درساً قبل الحرب . . وهو درس اليوم . . ومن واجبنا العمل معاً فرنسين وإنجليز للبحث عن حل عادل للمصعوسات الخالية (٤) .

وظهر أن الرأى قد استقر فى مباحثات باريس بين إيدن والزعماء الفرنسيين على استخدام القوة التى تحددها يوم ٨ أكتوبر ١٩٥٦ للهجوم على مصر ، وقد أشار جى موليه أثناء تلك المباحثات الى إمكانية إشراك إسرائيل فى العدوان (٥) .

ومهما كان من تجاهل إيدن فى مذكراته لهذا الشق المهم من أحداث أزمة السويس فإن الوقائع تشير الى أن هذا الاجتماع بحث أمر المؤامرة الثلاثية ووافق إيدن على أن تستمر فرنسا فى التفاهم مع إسرائيل وعلى أن يستمر المتحدثون الرسميون فى الحكومتين على إبراز خطورة التدخل الشيوعى فى الشرق الأوسط نتيجة للسياسة المصرية (٦) .

وقد أثارت مباحثات إيدن فى باريس الربية لدى الحكومة المصرية والرئيس عبد الناصر نظراً للكتمان الشديد الذى أحاط بها ، ولكن ذلك لم يمنع من أن يكون التقدير الذى ساد وقتئذ على ضوء معلومات وصلت للقاهرة عن الاجتماع - أن المملكة المتحدة وفرنسا ينسقان سياسة التدخل العسكرى ضد مصر، حتى فى حالة معارضة الولايات المتحدة<sup>(٧)</sup> .

### انتقال الأزمة لمجلس الأمن :

انتقلت الأزمة إلى الأمم المتحدة عندما طلبت حكومتا المملكة المتحدة وفرنسا عقد جلسة لمجلس الأمن فى ٢٦ سبتمبر لبحث الموقف الذى خلقتة الحكومة المصرية بعملها الانفرادى فى إنهاء النظام الدولى لإدارة قناة السويس ، الذى أكدته وأكملته اتفاقية ١٨٨٨ . وكانت هناك شكوى مضادة من جانب مصر ضد الأعمال التى ترتكبها ككل من المملكة المتحدة وفرنسا بما يهدد السلم والأمن الدوليين ، وأن مصر لم تسع إلى رفع شكواها أمام المجلس قبل ذلك تمثيا مع السياسة التى اتبعت منذ إعلان التاميم التى تعتمد على الوقت ليمتص ثورة الغضب التى اشتعلت فى بعض دوائر الغرب ضد قرار مصر . كانت مصر تنتظر وصول القضية إلى الأمم المتحدة لتواجه خصومها لأول مرة أمام هذه المنصة العالمية<sup>(٨)</sup> .

وقد قدرت السياسة المصرية فى ذلك الوقت أن لجوء الدولتين الى مجلس الامن وليس الى الجمعية العمومية يعنى دخول الأزمة فى مرحلة حاسمة ، لأن هذا الإجراء الذى لم يتخذ من قبل يكشف عن أمرين خطيرين هما أن الدولتين فشلتا فى المعركة السياسية خارج الأمم المتحدة . وأنهما تلجآن إلى الخطوة الأخيرة فى مظاهرة سلمية قبل الإقدام على مغامرة عسكرية<sup>(٩)</sup> .

وإذا ربطنا بين الفشل خارج الأمم المتحدة والفشل المتوقع داخلها وأمام مجلس الأمن إزاء الفيتو السوفيتى يتبين لنا على الفور أن المظاهرة السلمية تعنى : أن تظهر الدولتان للرأى العام العالمى أنهما استفدتا الوسائل السلمية وأن الاتحاد السوفيتى (سابقاً) يعرقل الوصول إلى تسوية سلمية للأزمة ، وأن مصر تتصرف فى حماية الاتحاد السوفيتى (سابقاً) ، وأنه لم يعد هناك من سبيل إلا التصرف خارج الأمم المتحدة .

### سياسة مصر فى الأمم المتحدة :

كان تشكيل مجلس الأمن فى عام ١٩٥٦ لا يعطى الاطمئنان لمصر بعدد الأصوات التى

سوف تقف بجانبها فخللاف الدول الخمس الدائمة فى مجلس الأمن كانت هناك أستراليا وبلجيكا وكوبا وبيرو وإيران ويوجوسلافيا ، وكما هو واضح فإن هذه الدول باستثناء الاتحاد السوفيتى (سابقاً) ويوجوسلافيا تقف مع الغرب إما بحكم المصالح الغربية أو النفوذ الغربى فيها . وكان تقدير السياسة المصرية وقتذاك أن هناك احتمالين : فإما أن يصدر مشروع قرار بإنشاء إداره دوليه للقناة ، وسوف يستخدم الاتحاد السوفيتى (سابقاً) حق الفيتو ضده . وإما أن تدعو الجمعية العمومية إلى المفاوضة . فأما الموقف الاول فهو شبه مؤكد بينما يعتبر الموقف الثانى صعب التحقق نظراً لعدم توفر الأسس التى تصلح للتفاوض (١٠) .

لذلك كان من الضرورى ألا ترسم مصر خططها على أساس أتخاذ موقف الدفاع بل وضع القوى المعادية فى موقف الاتهام أمام الرأى العام العالمى ، ولكن ذلك لم يكن يكفى لمواجهة ما قد يترتب على الفيتو السوفيتى من تقديم المبرر للمملكة المتحدة وفرنسا لتنفيذ مخططهما العسكرى ، وبناء على ذلك رأى مصر أن اتخاذ الموقف الثانى هو الأنسب ، أعنى التفاوض (١١) .

وفى ٢٤ سبتمبر طلبت مصر من رئيس مجلس الأمن بحث شكواها ضد المملكة المتحدة وفرنسا . وفى نفس الوقت بدأت الاتصالات بين رئيس بعثتها فى الأمم المتحدة السفير عمر لطفى وبين المستر همرشولد سكرتير عام الأمم المتحدة حول القرار المنتظر ، وقد دار الحديث حول تأليف المجلس لجنة للتفاوض بين مصر والدول الغربية لإيجاد حل للأزمة (١٢) .

كان الموقف مليئاً بالاحتمالات المضادة لإدراج شكوى مصر فالمطلوب سبعة أصوات ليتم إدراج الشكوى بينما مواقف الدول الاعضاء فى المجلس لا يطمئن إليها كثيراً . وكان الفيصل فى تحديد ما يمكن أن يسفر عنه التصويت فى هذه الإجراءات هو موقف الولايات المتحدة ؛ لأن تأييدها لإدراج الشكوى يعنى تأييد الصين الوطنية وكوبا وبيرو وإيران . وبذلك تتوافر خمسة أصوات إلى جانب الاتحاد السوفيتى (سابقاً) ويوجوسلافيا فتتحقق بذلك الأغلبية المطلوبة (١٣) .

وعندما اتصل السفير عمر لطفى يوم ٢٥ سبتمبر بكابوت لودج مندوب الأمريكى فى مجلس الامن أبلغه بأنه لم يتلق تعليمات من المستر دالاس ، وكان هذا الرد غريباً بالنسبة الى الولايات المتحدة ، منذ قامت الأمم المتحدة بتأييد إدراج أى شكوى فى جدول أعمال المجلس حتى ولسو كانت موجهة ضدها .

وقد ذكر السفير عمر لطفى ذلك لكابوت لودج ، إلا أن الأخير لم يعلق انتظاراً لرأى دالاس . وفى نفس الرقت كان ممثلاً المملكة المتحدة وفرنسا يعملان من أجل رفض إدراج الشكوى المصرية . وكانت الردود من جانب ممثلى كوبا وبيرو وايران أنهم لم يتلقوا تعليمات من حكوماتهم بعد . وعندما ظهر موقف الولايات المتحدة فى صباح ٢٦ سبتمبر بتأييد إدراج الشكوى أبلغ ممثل كوبا رئيس البعثة المصرية أنه تلقى تعليمات بتأييد طلب مصر ، كما أكد مندوب بيرو أنه سيصوت فى صالح إدراج الشكوى ما لم تصله تعليمات بخلاف ذلك . كما تلقى مندوباً ايران والصين الوطنيه تعليمات بتأييد إدراج الشكوى<sup>(١٤)</sup> فتحققت بذلك الأغلبية المطلوبة ، واعتبرت دوائر الامم المتحدة أن مصر قد احرزت نصراً بقبول إدراج شكواها .

وفى جلسة ٢٦ سبتمبر ناقش المجلس جدول الأعمال ووافق على ادراج شكوى مصر بأغلبية ٧ أصوات ، وامتناع المملكة المتحدة وفرنسا واستراليا وبلجيكا عن التصويت ، كما وافق على دعوة مندوب مصر للاشتراك فى المناقشة مع تأجيل الجلسة إلى ٥ أكتوبر<sup>(١٥)</sup> .

وفى ٣ أكتوبر وصل الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية إلى نيويورك واتفق موعد وصوله مع وصول غالبية وزراء خارجية الدول الأعضاء لمجلس الأمن . وبدأت سلسلة من الاتصالات قام بها الدكتور فوزى قبل انعقاد المجلس ، كشفت عن ملامح الطريق الذى ستسلكه الأزمة فى مجلس الأمن ، وكان تركيز السياسة المصرية على قطع الطريق نهائياً على استخدام القوة ضدها ، مع العمل على التفاوض فى إطار ما أعلنته مصر من مبادئ لحل الأزمة<sup>(١٦)</sup> .

وعندما عرض همرشولد على الدكتور فوزى صرف النظر عن الأساليب الماضية ، وأن الأسلوب الذى ينصح به هو تشكيل لجنة بواسطة مجلس الأمن تشترك فيها مصر ، أو يشكل مجلس الأمن نفسه لجنة تشترك فيها مصر . لم يرفض الدكتور فوزى اقتراح التفاوض الذى عرضه همرشولد ولكنه تحفظ على تشكيل مجلس الأمن بتكوينه غير المتعاطف مع مصر ، والذى لا يبعث على الاطمئنان بأن ما سوف يشكله من لجان لا يجعل مصر تثق فى عدالة ما تقرره أو تحاول فرضه على مصر<sup>(١٧)</sup> .

ولذلك فقد اتفق همرشولد و فوزى على عقد اجتماعات مغلقة وسرية بين الدكتور

فوزى وبينو ولويد في مكتب همرشولد الذى يعلن أنه الداعى لهذه الاجتماعات كإجراء طبيعى وأن المجتمعين هم أطراف النزاع فقط<sup>(١٨)</sup> .

وقد أيد فوستر دالاس ذلك وشجع وزراء الخارجية الثلاثة على تصفية خلافاتهم فى جلسات مغلقة بمشاركة همرشولد كوسيط<sup>(١٩)</sup> .

وعندما اجتمع مجلس الأمن فى ٥ أكتوبر كان سلوين لويد أول المتحدثين . وقد تحدث لمدة ساعة قدم فى نهايتها مشروع القرار البريطانى الفرنسى الذى يحتوى على الآتى<sup>(٢٠)</sup> :

- ١- تأكيد حق الملاحه فى قناة السويس لجميع الدول طبقاً لمعاهدة القسطنطينية .
- ٢- إدارة القناة من قبل هيئة ذات طابع دولى .
- ٣- الموافقة على النتائج التى وصلت إليها الدول الثمانى عشرة فى مؤتمر لندن .
- ٤- التوصية بأن تدخل مصر فى مفاوضات قائمة على هذه الاقتراحات .
- ٥- دعوة مصر الى التعاون مع جمعية المتفعين بقناة السويس .

ثم تحدث بينو بعد ذلك بنفس لهجة لويد ، وتبعهما دالاس فأيد مشروع القرار الأنجلوفرنسى فى عبارات لم تكن واضحة تماماً . إذ كانت تؤيد المملكة المتحدة وفرنسا إلى حد ما كما تؤيد مصر إلى حد ما . وبينما تحدث عن ضرورة ضمان حرية الملاحة بقناة السويس كان يميل إلى العرض الذى قدمته مصر بأن يحل الخلاف بالوسائل السلمية . ولهذا اقترح أن تعقد اجتماعات خارج مجلس الأمن ، بين وزراء خارجية الدول الرئيسية المعنية وهى مصر والمملكة المتحدة وفرنسا ، حتى يمكن حل النزاع عن طريق المفاوضات المباشرة قبل الوصول إلى مرحلة التصويت بالمجلس . وقد أعرب همرشولد عن تأييده لمقترحات دالاس<sup>(٢١)</sup> .

وفى ٨ أكتوبر ألقى الدكتور محمود فوزى خطابه الرئيسى فى مجلس الأمن ، حيث أوضح وأكد إن لكل دولة مستقلة الحق فى أن تؤمم أية مؤسسة تخضع لسيادتها وهو حق أكدته الجمعية العمومية للأمم المتحدة . وأن لكل دولة الحق فى استخدام مواردها لرفاهية شعبها بما يتمشى مع سيادتها ومبادئ الأمم المتحدة وإن شركة قناة السويس هى شركة مصرية منحت الحكومة المصرية امتيازها لمدة ٩٩ عاما . والمادة ١٦ من الاتفاقية المعقودة بين

الحكومة المصرية وشركة القناة فى ٢٢ فبراير ١٨٦٦ تنص على أن الشركة البحرية العالمية لقناة السويس هى شركة مساهمة تخضع لقوانين البلاد وعاداتها. (٢٢) .

وتحدث دالاس مرة أخرى أمام مجلس الأمن يوم ٩ أكتوبر فأصر على أن الدول الغربية ودولا أخرى تميل الى حل مشكلة القناة بالوسائل السلمية . ثم أصر على قانونية معاهدة ١٨٨٨ وعلى تنازل مصر لشركة قناة السويس عن مسئوليتها لتقديم نظام محدد لضمان حقوق المرور طبقاً للمعاهدة . وكان هذا سبباً لآخر لولع دالاس بالتطوع بتفسير المعاهدة والامتياز الذى منح لتثبيت حقوق المنتفعين وحقوق مصر والتزاماتها . وقال دالاس : اذا لم يكن الرئيس عبد الناصر مستعداً لاحترام تلك الحقوق والالتزامات ، فإنه يكون متتهكاً لمعاهدة القسطنطينيه ومرتكباً خطيئة فى حق الالتزامات الدولية . وأضاف أنه اذا لم تتبن الأمم المتحدة هذا الرأى فإنها تنتهك بذلك القانون الدولى (٢٣) .

### المفاوضات السرية فى مكتب همرشولد

بعد خطاب دالاس يوم ٩ أكتوبر ، بدأت المحادثات الخاصة بين محمود فوزى ولويد وينيو فى مكتب همرشولد ، واستمرت حتى مساء يوم ١١ أكتوبر . وقد استغرقت هذه المفاوضات ستة اجتماعات انتهت بتقديم همرشولد مفكرة عما أسماه ( بالاحتياجات ) تحتوى على ست نقاط (٢٤) :

- ١ - أن يكون المرور عبر القناة حراً ومفتوحاً ودون تمييز مباشر أو غير مباشر لجميع السفن .
  - ٢ - أن تحترم سيادة مصر .
  - ٣ - أن تعزل إدارة القناة عن سياسة أية دولة .
  - ٤ - أن تقرر رسوم القناة بالاتفاق بين مصر والمنتفعين .
  - ٥ - أن تخصص نسبة عادلة من الرسوم لتنمية القناة .
  - ٦ - فى حالة الخلاف بين الحكومه المصرية وشركة القناة يلجأ الى التحكيم .
- وفى يوم ١٢ أكتوبر اجتمع مجلس الامن فى جلسة سرية عرض همرشولد الموقف خلالها وقال ان المباحثات كانت استكشافية لمحاولة إيجاد مجال مشترك للتراضى بين

الأطراف فشملت ( الاحتياجات ) التي يجب التراضي عليها أولاً ثم وسائل تنفيذها ، وقد اتفقت الأطراف على المبادئ الستة ، أما عن الناحية التنفيذية فكان من المستحيل أن يصل الأطراف الى مثل هذه الأمور المعقدة في وقت ضيق . وأعلن الدكتور محمود فوزي أن المبادئ الستة ترضى مصر مع تحفظها على مبدأ عزل القناة عن السياسة وقال لويد إن المبادئ لا تصل بنا إلى نظام مرض وأن مقترحات الدول الثماني عشرة ما زالت أفضل أساس ، ولكن ذلك لا يمنع من أنه قد توجد وسيلة أخرى لتنفيذ هذه الاقتراحات<sup>(٢٥)</sup> .

وفي ١٣ أكتوبر قدمت المملكة المتحدة وفرنسا مشروع قرار عدلتا به عن مشروع قرارهما الأول ، وقد احتوى مشروع هذا القرار علي جزئين ، اشتمل الجزء الأول على المبادئ الستة التي عرضها همرشولد ، أما الجزء الثاني فكان إعادة تأكيد مقترحات الدول الثماني عشرة بلندن التي هدفت إلى إعادة فرض السيطرة الدولية على القناة<sup>(٢٦)</sup> .

وقد عرض المشروع السابق على مجلس الأمن للتصويت علي قسمين يضم القسم الاول المبادئ الستة وقد وافق عليها المجلس بالإجماع وقد سبق لمصر أن قبلتها أثناء المفاوضات السرية . أما الجزء الثاني فقد أيدته تسع دول وعارضته مصر وكذا الاتحاد السوفيتي (سابقاً) ويوجوسلافيا وبذلك أسقطه الفيتو السوفيتي<sup>(٢٧)</sup> . ومع هذا اتفق فوزي ولويد وبينو علي الاجتماع في جنيف لمناقشة تطبيق النقاط الستة الأصلية . وتحدد يوم ٢٩ أكتوبر موعداً لهذا الاجتماع<sup>(٢٨)</sup> .



## قصة الحرب والسلام

وزير خارجية مصر يستعد  
للسفر الى جنيف للوساطة  
الى حسم سلمى لشكله  
قناة السويس .....  
بينما الحملات الاسرائيلية  
تهبط فوق مصر المحيطان .

مع انتهاء جلسات مجلس الأمن شعر الرئيس ايزنهاور والمستر دالاس بالرضا عن نتائج المناورات التى انتهجها . وأكد دالاس لزملائه فى وزارة الخارجية أنه يعتقد الآن أن الخطط العسكرية الأنجلو فرنسية قد ( ذهبت أدراج الرياح ) . كما قال ايزنهاور فى مؤتمر صحفى ( يبدو أننا تخطينا أزمة خطيرة . ولا يعنى هذا القول أننا قد تجاوزناها تماما ، لكننى تحدثت مع وزير الخارجية . . وبوسعى أن اخبركم أن كلينا يصلى لله شكرا على ما منحنإياه ) ( ٢٩ ) .

### اجتماع باريس :

فى غمار هذه التطورات التى كاد مجلس الأمن أن ينتهى فيها من بحث المشكلة وتحديد المبادئ التى ستقوم عليها التسوية السلمية ، وبينما السكرتير العام داج همرشولد يستعد لأستئناف المباحثات إذ بوزير خارجية المملكة المتحدة سلوين لويد ونظيره الفرنسى كرستيان بينو يغادران نيويورك فجأة ليحضرا اجتماعاً بباريس يوم ١٦ أكتوبر بين رئيس الوزراء الفرنسى جى موليه ونظيره البريطانى أنتونى إيدن . وقد بحث فى هذا الاجتماع آخر تفاصيل خطة إسرائيل العدوانية بعد تعديلها الى هجوم مباشر ضد مصر ، واتفق على أن تبدأ إسرائيل هجومها فى أول نوفمبر .

ثم تقرر تعديل الخطة بحيث يبدأ الهجوم الاسرائيلى مبكرا عن أول نوفمبر حتى يسمح للقوات الأنجلوفرنسية أن تبدأ عملية الغزو البحرى لبور سعيد فى الخامس من نوفمبر وهو نفس يوم إجراء انتخابات الرئاسة الأمريكية . وقد بدأ الصمت يطبق على عواصم التآمر ، وأسدل ستار من السرية حول الخطط والتوقيتات الجديدة وشكى أعضاء السفارة الأمريكية فى كل من لندن وباريس من السرية والكتمان الذى أصبحا يلقيانه فى دور حكومتى المملكة المتحدة وفرنسا ( ٣٠ ) .

### معاهدة سيفر :

حان لقاء المتآمرين البريطانيين والفرنسيين والإسرائيليين وجها لوجه ولأول ولآخر مرة ، فاجتمع ممثلو البلدان الثلاثة لتنسيق توقيتات ومراحل خططهم الحربية . وفى سرية تامه توجه أعضاء الوفود الثلاثة إلى قصر بونيه دى لاشابيل ، وهو قصر فخم ومنعزل فى ضاحية سيفر إحدى ضواحي مدينة باريس . فقاد بينو سيارته بنفسه الى هناك بعد ظهر ٢٢ أكتوبر ، بعد أن تأكد من عدم متابعة أحد له .

وهبطت طائرة الوفد الإسرائيلي الذي رأسه بن جوريون وضم موشيه ديان وشيمون بيريز فى مطار عسكري فى فيلا كوبليه جنوب غرب باريس بالقرب من سيفر ، حيث اصطحبهم الكولونيل منجان فى سيارة عادية لا تنم عن هوية مستقليها . وبوصول بن جوريون ختمت المؤامرة الثلاثية فصولها أما سلوين لويد فقد أخبر زملاءه بعد ظهر الاثين انه أصيب بنوبة برد وبدلا من أن يتوجه الى منزله توجه الى المطار حيث استقل طائرة نقلته سرا إلى فيلا كوبليه ، ومن ثم الى سيفر (٣١) .

وفى تلك الفيلا المملوكة لأحد أصدقاء بورجيس مونورى بدأت الاجتماعات السرية التى أصر عليها بن جوريون قبل ان يدفع جيشه للحرب . وعقد الاجتماع الأول فى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ٢٣ أكتوبر ، وقد اقتصر على الزعماء الفرنسيين موليه وبينو وبورجيس مونورى والقادمين من اسرائيل . وبدأ بن جوريون بعرض خطته التى تلخصت فى القضاء على عبد الناصر وتقسيم الأردن والاستيلاء على الجنوب اللبناى . وأذهلت خطة بن جوريون الفرنسيين . ويقول أبل توماس الذى حضر الاجتماع بوصفه مساعدا لبورجيس مونورى لقد أدركنا أنه اذا تمسك بن جوريون بخطة الحمقاء فسيضعنا فى طريق مسدود . ربما كان يحاول أن يحدث بوعده نتيجة عزوفه عن التعامل مع المملكة المتحدة ، لكن اذا كان يقصد ذلك فعلا ، فلماذا جاء إذن (٣٢) .

رفض موليه مشروع بن جوريون وطلب الانتقال الى مناقشة جوهر عملية التواطؤ . وكان أيدن قد أكد لموليه ان المملكة المتحدة لن تشارك فى العملية إلا اذا وجدت ذريعة لذلك وهى شن إسرائيل الهجوم أولاً على ان يعقبه صدور انذار أنجلو فرنسى لكل من اسرائيل ومصر . وفى هذه الحالة فقط تتعهد المملكة المتحدة باستخدام القوة . وعارض بن جوريون هذا الاقتراح إذ لم يستغ فكرة ان تهاجم اسرائيل وحدها وتبدو امام العالم اجمع أنها البادئة بالعدوان (٣٣) .

كما أعرب بن جوريون عن قلقه أيضا من فكرة أن تحارب إسرائيل وحدها فى الايام الاولى للمعركة قبل ان تتحرك القوات الأنجلو فرنسية . فمصر تمتلك الآن قاذفات قنابل سوفيتية من طراز اليوشين ٢٨ ، وقد تستخدمها فى قصف المدن الإسرائيلية قبل أن يدمر البريطانيون والفرنسيون القوات الجوية المصرية . وأكد بينو أن المملكة المتحدة لن تشترك مطلقا ما لم تحصل على « الذريعة الإسرائيلية » . وأردف بينو انه متفهم تماما لقلق بن جوريون آزاء الأمن ، ولذا فإن فرنسا مستعدة لتقديم ضمانات عسكرية لإسرائيل (٣٤) .

ثم أبدى بن جوريون تحفظات أخرى ، إذ طلب ابلاغ أيزنهاور بالهجوم والحصول على موافقته . كما نصح أيضاً بتأجيل الهجوم حتى تنتهى الانتخابات الأمريكية نظراً لأن أيزنهاور يخوض حملته الانتخابية على أساس انه مرشح السلام . وأردف بن جوريون أن الولايات المتحدة ستكون بذلك أكثر استعداداً لتقديم العون إلى إسرائيل الذى سوف تحتاجه بعد الانتخابات .

إلا ان جى موليه حذر بن جوريون بلهجة شايها بعض السخرية من الاعتماد على دعم الولايات المتحدة ، وقال هازناً إن الولايات المتحدة تحتاج الى سنوات لكى تفهم مشاكل العلاقات الخارجية . كما قال بورجيس مونورى لبن جوريون إنه يمكنه الاعتماد على الأسطول الفرنسى فى الدفاع عن شواطئ إسرائيل ، وعلى الطائرات الفرنسية فى الدفاع عن سمائها . لكنه أردف قائلاً إن فرنسا ستسحب من العملية اذا لم تبدأ العمليات فى الأيام القليلة القادمة ؛ إذ يستحيل عليها الاستمرار فى وضع قواتها المسلحة وسفنها التجارية فى حالة استنفار لفترة طويلة ، وان الموعد النهائى هو بداية نوفمبر (٣٥) .

وأجاب بن جوريون بأنه لا يريد أن يقبل عار الهجوم أولاً ، أو أن يتحمل مخاطر أن تحارب إسرائيل بمفردها لعدة أيام . وأضاف إنه من الحماسة الاستمرار فى المباحثات فى ظل هذه الظروف ، وبالتالي فسوف يغادر سيفر فى الصباح (٣٦) .

وعندما وصل لويد وسكرتيره الخاص دونالد لوجان إلى سيفر فى الساعة السابعة مساء ٢٣ اكتوبر التقى مع الفرنسيين أولاً ليطلع على سير المباحثات ، الأمر الذى أثار غضب الإسرائيليين ويقول لويد فى مذكراته إنه عندما انضم أخيراً إلى الإسرائيليين « كان انطباعى الأول أن مكان الاجتماع هو غرفة مليئة بأناس منهكين للغاية ، راح معظمهم فى سبات عميق . وكان هناك شاب يغط فى نومه بصوت عال . وبدأ بن جوريون نفسه فى صورة غير طبيعية بالمرّة » . ونظر لويد إلى الإسرائيليين بتعجبهم وتحول الجو المنسجم الى فتور تام .

وتصافح بن جوريون ولويد ببرود . وبدأ واضحاً شعور لويد بعدم الارتياح واصراره على الإبقاء على مسافة بينه وبين الإسرائيليين . أما بن جوريون الذى لم ينس بعد النضال المرير بين البريطانيين واليهود فى الأيام الأخيرة للانتداب على فلسطين فقد بدأ منزعجاً لوجود لويد . وتصور أن لويد يحاول معاملته « كخادم له » (٣٧) .

ولم يكن لويد فى واقع الأمر سعيدا بالتواطؤ مع الإسرائيليين ، بل إن ولاءه لإيدن ويأسه من التوصل الى حل لأزمة قناة السويس المستعصية هما السببان الحقيقيان لوجوده فى سيفر . وبالتالي لم يكن مستعدا للمساومة مع بن جوريون أو الفرنسيين . وتركزت الكلمة الافتتاحية التى ألقاها لويد على المباحثات التى أجراها فى الأمم المتحدة مع وزير الخارجية المصرى محمود فوزى والتى لم تحمل شيئا على حد تعبيره ، سوى مشكلة الملاحة فى القناة . ولكن الاتفاق لن يضعف الرئيس عبد الناصر ، بل سيدعمه فى واقع الأمر .

وقال إن حكومة المملكة المتحدة تريد الإطاحة بالرئيس عبد الناصر ومن ثم ستهاجم مصر مع فرنسا إذا هاجمت اسرائيل أولا . وبهذه الطريقة الباردة ، جعل لويد الأمر يبدو وكأن اسرائيل تتحرك بصورة مستقلة تماما دون أى تشجيع من المملكة المتحدة . فالهجوم البريطانى لن يأت إلا كنتيجة للتحرك الاسرائيلى وليس بالتعاون معها<sup>(٣٨)</sup> .

وبعد مناقشات حامية وقع وثيقة « سيفر » كل من بن جوريون وبينو وباتريك دين . . . ونصت وثيقة سيفر على أن تهاجم اسرائيل أولاً وأن توجه الملكة المتحدة وفرنسا « نداءين » - وليس إنذارين ، نظراً لاعتراض بن جوريون على مخاطبة اسرائيل بهذه اللهجة - إلى مصر وإسرائيل فى اليوم التالى ، وأن تهاجم القوات الجوية الأنجلو فرنسية مصر خلال ٣٦ ساعة .

وقد أصرت المملكة المتحدة على أن تتعهد اسرائيل بعدم مهاجمة الأردن وهو ما وافق بن جوريون على أن تتضمنه الورقة . وكان بن جوريون قد حصل على ورقة أخرى من بورجيس مونورى جاء بها « تتعهد الحكومة الفرنسية بوضع سرب من طائرات مستير ٤ ايه ، وسرب من المقاتلات القاذفة من طراز اف ٤٨ فى اسرائيل فى الفترة من ٢٩ الى ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ لضمان الدفاع الجوى عن الأراضى الإسرائيلية ، وبالإضافة الى ذلك ستربط سفيتان من الأسطول الفرنسى فى الموانئ الإسرائيلية خلال نفس الوقت » وتحددت ساعة الصفر للهجوم الإسرائيلى لتكون بعد ظهر ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦<sup>(٣٩)</sup> .

وعاد بن جوريون الى اسرائيل يوم ٢٥ اكتوبر يحمل معه نسخة موهورة من معاهدة سيفر الرية التى كتب على قممتها جملة لا تنشر إلى الأبد وجلس على الفور مع وزرائه الذين أحاطهم علما بعزمه على إصدار أمر التعبئة العامة لمواجهة التحالف العربى الجديد الذى



خمسة أيام وأعدت تدايبرها النهائية للحرب . وأخطرت شركاءها ان بدء عملية قادش المعدله سوف يبدأ يوم ٢٩ اكتوبر (٤١) .

وبهذا أصبح بدء الخطة موسكتير المعدلة النهائية هو يوم ٧ أو ٨ نوفمبر . . وكان للتاريخ الأخير أهمية خاصة . . . فهو يعقب يوم الانتخابات الامريكية فى ٦ نوفمبر . . . وكان هناك شبه اعتقاد بأن ايزنهاور سوف يغض الطرف عنه (٤٢) .

وقد حفلت الأيام الأخيرة من شهر اكتوبر بسيل من الأحداث الجسام بالنسبة لرئيس الولايات المتحدة ووزير خارجيته . فلم يبق سوى أسبوعين فقط على الانتخابات . وبينما كانت بولندا والمجر على وشك التمرد ، أخذت اسرائيل تعبئ قواتها ، وواصل البريطانيون والفرنسيون حشودهم فى البحر المتوسط وتوقفت الاتصالات تماما بين هذه الدول وبين واشنطن (٤٣) .

وانتزعت أحداث المجر اهتمام واشنطن فجأة بعيداً عن الشرق الأوسط . ففى يوم الجمعة ٢٦ اكتوبر عقد مجلس الأمن القومى الامريكى اجتماعه رقم ٣٠١ منذ تولى ايزنهاور رئاسه الولايات المتحدة . وكانت المجر هى الموضوع الرئيسى المطروح على جدول الأعمال رغم إشارة الرئيس إلى تلك القائمة الطويلة من الاضطرابات التى يجب أن يعالجها كبار مسئولى الأمن فى الأمة . ( لدينا تقارير متفرقة من سائر أنحاء العالم كلها تدعو الى القلق . فهناك شائعات - ثبت كذبها - عن اغتيال الملك حسين فى الأردن ، وأنباء عن أحداث شغب فى سنغافوره وسخط خطير فى تونس والجزائر والمغرب . لكن الأنباء الأكثر الحاحا تتوالى من المجر ) . وهو ما سيتغير بعد فترة وجيزة . وقدم آلان دالاس مدير المخابرات المركزية الامريكية تقريراً حول المعارك الاخيرة بين القوات السوفيتية وقوات المجر (٤٤) .

ثم انتقل ايزنهاور لمناقشة الموضوع الذى سيتداخل مع موضوع الانتفاضات الشيوعية خلال الايام الاخيرة للحملة الانتخابية : أى الشرق الأوسط . وقد اطلع فوستر دالاس مجلس الأمن القومى على الأحداث المزعجة للغاية التى تجرى فى الأردن بما فى ذلك الإشاعة التى زعمت اغتيال الملك حسين .

أما مصدر الإشاعة فكان تصريحاً لمصدر مطلع فى باريس وعلى الأرجح أنها كانت محاولة من المخابرات الفرنسية لمساعدة إسرائيل فى مخططها الرامى الى تضليل واشنطن

والقاهرة ودفعهما الى الاعتقاد بان الاستعدادات العسكرية الاسرائيلية كانت تستهدف الاردن وليس مصر (٤٥) .

وفى نفس يوم ٢٦ اكتوبر حضر آلان دالاس اجتماعا آخر أمام اللجنة الخاصة التابعة للمخابرات المركزية الأمريكية والتي تم تعيينها لفك طلاسم الأحداث الغامضة التي تجرى فى الشرق الأوسط . إذ بدا واضحا أن فرنسا واسرائيل على وشك القيام بشىء ما ، وهو ماينطبق أيضاً على المملكة المتحدة وفرنسا . فهل تعمل الدول الثلاث معاً ؟

وقد بعث عملاء دالاس فى تل ابيب بتقاريرهم التي اكدت أن موشيه ديان قام بمهمة سرية خارج البلاد ومن باريس اشارت التقارير إلى اختفاء كبار اعضاء مجلس الوزراء ، ومن لندن انقطعت تماما عمليات تبادل المعلومات بين جهازى المخابرات البريطانى والأمريكى وهو الأمر الذى كان يجرى بصورة منتظمة بل إن رئيس مكتب اتصال المخابرات المركزية الأمريكية مع المخابرات البريطانية تشستر كوبر بعث الى واشنطن بتقرير قال فيه إن الاستقبال الحار الذى كان يحظى به فى كل اجتماع للجنة المخابرات المشتركة تحول الآن إلى برود تام . أما مفتاح اللغز الأخر المنذر بالخطر فقد كان رصد كمية كبيرة من الاتصالات اللاسلكية بين تل ابيب وباريس ، وهى مقدمة منطقية لأى حرب حديثة (٤٦) .

وأضاف آلان دالاس الى هذه النذر القائمة تقريراً آخر جاءه من السفير الأمريكى فى باريس أثناء عطلة نهاية الأسبوع ملخصه أن فرنسا والمملكة المتحدة وإسرائيل تستعد للهجوم على مصر عقب الانتخابات الأمريكية وتعود أهمية هذه المعلومات الى أن مصدرها هو جاك شابان دلماس وزير الدولة الفرنسى وصديق السفير الأمريكى (٤٧) .

وقد تبين فيما بعد صدق هذه المعلومات إذ كانت القوات المسلحة للبلدان الثلاثة تتحرك بشكل واضح نحو أوضاع قتالية ، رغم أنه لم يتم التأكد عما إذا كانت تتحرك مجتمعة أو فرادى . وكشفت الصور التي التقطتها طائرات الاستطلاع من الارتفاعات الشاهقة طراز يو ٢ وطبيعتها ريشارد بينزل الرجل الذى طور برنامج هذه الطائرات ، الحشود البحرية البريطانية فى مالطا وقبرص . كما التقطت صور أخرى للإمدادات العسكرية الفرنسية أثناء شحنها على السفن فى مينائى مرسيليا وطولون .

وعلق بيزل على الصور تعليقا ساخراً بقوله ( لا يبدو أن الحلفاء يحشدون سفنهم فى البحر المتوسط للاشتراك فى سباق للقوارب ) كما أشار محلل آخر وهو روبرت آمورى نائب مدير المخبرات المركزية الأمريكية إلى أن ما يكتنه ايدن من حقد للرئيس عبد الناصر قد وصل الى درجة جعلته يقرر -على الأرجح -الانضمام الى أى مشروع يرمى الى الإطاحة به (٤٨) .

وفى نفس يوم ٢٦ أكتوبر اتصل فوستر دالاس بالرئيس ايزنهاور تليفونيا لأخذ رأيه فى أحداث المجر والشرق الأوسط حيث أشار ايزنهاور الى أن ( التقارير الأخيرة تجمع على وجود عملية تعبئة واسعة للجيش الإسرائيلى ) . واقترح دالاس أن يتصل الرئيس مباشرة بالحكومة الإسرائيلىة لاستيضاح موقفها (٤٩) .

وكتب ايزنهاور فى مذكراته يوم ٢٦ أكتوبر يقول ( كيف نستطيع أن نبني « سعود » كمنافس لـ " عبد الناصر " فى العالم العربى وفى نفس الوقت نكبح جماح حلفائنا الأطلسيين وهم على وشك أن يطلقوا العنان لحماقاتهم ؟ لقد عرض على المستر هوفر وكيل الخارجية الأمريكية خطة لإسقاط الرئيس عبد الناصر تقوم بهـا إحدى وكالاتنا ولم وافق عليها نظرا لسهوله كشفها ) (٥٠) .

وفى يوم الأحد ٢٧ أكتوبر سجل الرئيس ايزنهاور فى مذكراته (جاءنى « فوستر دالاس » يقول إنه قابل عددا كبيرا من أعضاء مجلس الشيوخ وهم يرجعون بأن تورط المملكة المتحدة فى الشرق الأوسط ، وأن تتوقف الملاحقة فى قناة السويس حتى يضطر البريطانيون والفرنسيون الى شراء بترول أمريكى . وقد رددت عليه قائلا « من أين سيأتون بالمال لكى يدفعوا لنا ثمن هذا البترول » .

وأكثر من ذلك فقد طلب الرئيس ايزنهاور من وزير خارجيته فوستر دالاس أن يدعو السفير الإسرائيلى « أبا إيمان » إلى مكتبه ويبلغه رسالة منه إلى رئيس الوزراء الإسرائيلى بن جوريون تنص على « إذهب وقل لبن جوريون » إنه إذا كان سيمضى فيما يفعله الآن مطمئنا الى أننى سوف أسكت مراعاة للأصوات اليهودية فى الإنتخابات فإنه سوف يكون قد ارتكب خطأ كبيرا . إننى سوف أتصرف وفقا لمصالح الولايات المتحدة سواء فزت فى الانتخابات أو خسرت الرئاسة . قل لهم إن أهدافنا لا تختلف عن أهدافهم ولكننى لا أريد أن تتم

عملية إزاحة « الرئيس عبد الناصر » بوسائل الاستعمار القديم ، ووفقا لمصالحه<sup>(٥١)</sup> .

اذا لم يكن هناك سر خفى عن الرئيس ايزنهاور ، بل ان قراره يوم ٢٧ أكتوبر بضرورة ترحيل كل الرعايا الامريكيين من مصر قاطع فى دلالته أنه كان يعرف كل شىء . وقد ترك للأخرين الجبل على الغارب وعندما بدءوا يلفونه حول اعناقهم راح هو يشد ليحكم الخناق واختلفت لغته وتسارعت خطاه<sup>(٥٢)</sup> .

وتكشف وثائق الخارجية المصرية تفاصيل خطيرة عن التآمر على مصر . . . فى ٢٧ أكتوبر ١٩٥٦ أرسل السفير المصرى فى واشنطن أحمد حسين رسالة مهمة وخطيرة لوكيل وزارة الخارجية المصرية وأرسل صوراً منها للرئيس عبد الناصر يخبرهم فيها بأن المستر هارى كيرن ذكر له أنه قابل المستر سلوين لويد قبيل مغادرته نيويورك حيث أوضح له أن دخول القوات البريطانية مصر أمر يسير الا أن الخروج منها بعد ذلك صعب وأكد المستر كيرن أن الانجليز يبيتون الشر لمصر وأنهم ينتظرون إجراء الانتخابات الأمريكية حتى لا يخرجوا الأمريكين الآن<sup>(٥٣)</sup> .

وفى ٢٦ أكتوبر ١٩٥٦ صدرت الأوامر الابتدائية ، وفى ٢٧ أكتوبر وضعت خطط العدوان موضع التنفيذ ، فصدرت الأوامر فى هذا اليوم الى المجموعه البرمائية لقوة الهجوم التى سبق ان تحركت يوم ٢٢ أكتوبر ثم عادت الى ميناء بون الجزائرى يوم ٢٥ أكتوبر بالإبحار مرة ثانية وكما صدرت أوامر الاستعداد الى لواء الفدائين الثالث البريطانى المعسكر فى مالطه ، ووصل الى اسرائيل فى نفس اليوم الخبراء العسكريون الفرنسيون المكلفون بصيانة طائرات ( المستير ) التى ستقوم بمهام « المظلة الجوية » للقوات الإسرائيلية اثناء زحفها فى سيناء .

وبصفة عامة كان كل شىء على ما يرام ، وقد أخذت نتائج محادثات سيفر التى جرت يوم ٢٢ و٢٣ و٢٤ أكتوبر والتى انتهت بما يسمونه الآن بروتوكول « سيفر » تؤتى ثمارها على النحو المرغوب . وظل الشك يساور الأمريكين فى ذلك الوقت فى أن شيئا يوشك أن يحدث . . . لذلك طلبوا من فرنسا والمملكة المتحدة وإسرائيل إيضاحات لما تحس أنه يجرى منهم فى الخفاء الا أنها تلقت تأكيدات بأن شيئا لايبىء فى السر<sup>(٥٤)</sup> .

## الولايات المتحدة تتأكد :

في ٢٧ أكتوبر ١٩٥٦ بعث السفير الأمريكي في تل أبيب بتقرير الى حكومته قال فيه « إن هناك تعبئة عامة في إسرائيل والموقف جد خطير » . وقد وصلت هذه المعلومات الى الرئيس أيزنهاور وهو في مستشفى والتر ريد العسكري في واشنطن فأصدر تعليماته على الفور بإرسال رسالة إلى بن جوريون على أن يسلمها له السفير الأمريكي في تل أبيب اشتملت على قلقه البالغ من التعبئة الإسرائيلية وخطورة ذلك على الوضع في منطقة الشرق الأوسط .

كما لفت أيزنهاور نظر بن جوريون إلى خطورة الموقف وما سينشأ عنه من توتر ثم تدخل الولايات المتحدة على ضوء التصريح الثلاثي في عام ١٩٥٠ . كما أخبره بأنه أصدر تعليماته لبحث هذا الموقف مع بريطانيا وفرنسا بالإضافة إلى أنه أرسل رجاء في هذا الخصوص الى الدول الأخرى في المنطقة لوقف أى عمل عدائي وقد أبلغت هذه الرسالة الى لندن وباريس (٥٥) .

وحالما أدركت واشنطن خطورة التعبئة الإسرائيلية ، وجهت تعليمات عاجلة الى سفيرها بلندن وينتروب أولدريتش ليتحرى ما يحدث في الشرق الأوسط . فرتب عشاء مع سلوين لويد مساء الأحد ٢٨ أكتوبر ، وحضر كلاهما ومعه مستشاره السياسي وسأل أولدريتش لويد عن رأى المملكة المتحدة في مغزى التعبئة في إسرائيل فأجابه لويد بأنه لا يعرف ، وأن البريطانيين في ظلام بالنسبة لذلك ، وأن الحكومة البريطانية قد حذرت الإسرائيليين بعدم الهجوم على الأردن . ثم سأله أولدريتش : هل إسرائيل ستهاجم مصر ؟ فأجاب سلوين لويد على هذا السؤال بقوله : ليس لدى أية معلومات على الإطلاق (٥٦) .

وفي ٢٨ أكتوبر ، وبعد أن تلقى أيزنهاور معلومات مزعجة من السفير الأمريكي في تل أبيب ادوارد لوسون عن التعبئة الإسرائيلية الشاملة بعث برسالة إلى بن جوريون يقول فيها « أننى أذكرك بالمشروع السابق لدالاس وهو عدم اتخاذ خطوات عنيفة تهدد السلام في الشرق الأوسط . وقد أرسل هذه الرسالة أيضا الى كل من لندن وباريس » (٥٧) .

وعندما وصل دالاس الى واشنطن يوم ٢٨ أكتوبر قادما من مدينة دالاس علم بتطورات الموقف الجديد ، وبأن التعليمات قد صدرت بإجلاء الرعايا الأمريكيين عن إسرائيل واستدعى

دالاس السفير الإسرائيلى أبا إيبان فى نفس اليوم واستفسر منه عن أسباب التعبئة فرد إيبان أنها لأغراض دفاعية ثم استدعى القائم بأعمال المملكة المتحدة والقائم بأعمال فرنسا ، وقال لهما إذا بدأ القتال ستطلب الولايات المتحدة من الأمم المتحدة إيقافه ، إن استخدام القوه سيصبح نقطة سوداء تلتطخ سمعة الغرب فى العالم وسيكون تدخلا غير مشروع يتعارض مع أحكام القانون الدولى (٥٨) .

وفى يوم ٢٨ أكتوبر أشارت الصحف إلى أن أسطولا قويا من السلاح البحرى الملكى البريطانى غادر مالطة فى اتجاه الشرق الاوسط ، وكان هذا التحرك يهدف من الناحية الشكلية الى إجراء تدريبات ، بينما كان يهدف فى الواقع إلى التجمع عند النقطة "ى" وهى نقطه فى مكان ما فى البحر تقرر أن تتجمع عندها سفن الحملة التى ستحتشد أمام بور سعيد يوم ٧ أو ٨ نوفمبر ، وقد حصل الجنرال أندريه بوفر على هذا التاريخ المتقدم عنوة من الجنرال ستوكويل قائد القوات البريه أثناء المحادثات التى جرت بينهما فى باريس يوم ٢٦ أكتوبر، وقد أمكن فيما بعد إقناع لندن بتقديمه الى ٦ نوفمبر . وفى ٢٩ أكتوبر انتقل مركز قيادة القوه ( أ ) من الجزائر الى قبرص (٥٩) .

كانت واشنطن حتى هذه اللحظة تجهل تماماً أى معلومات عن لقاء سيفر ، لكن فى وقت متأخر من مساء يوم ٢٨ أكتوبر تجمعت أمام اللجنة الاستشارية للمخابرات دلائل كافية جعلتها تجزم بأن هدف التحركات الإسرائيلى هو مصر . وتم على الفور إرسال تحذيرات الى إيزنهاور وكل هيئات الأركان الأمريكىة المشتركة بأن إسرائيل ستهاجم مصر « فى وقت قريب للغاية » وقد كان هذا هو أول تأكيد رسمى بأن هدف إسرائيل هو مصر وليس الاردن ولم يبق على الحرب سوى أقل من ٢٤ ساعة (٦٠) .

وفى صباح يوم الاحد ٢٨ أكتوبر وصلت الى همرشولد برقية سرية للغاية من الجنرال إيدسون بيرنزر رئيس مراقبى الأمم المتحدة تحذر من أن التعبئة الجزئية فى إسرائيل والمبرر المعلن لها يشير الى تصاعد خطر اندلاع حرب شامله ومن الجدير بالملاحظة أنهم أشاروا إلى تجدد هجمات الفدائين الذين تحركهم مصر على أنه أحد أسباب التعبئة . ونظراً لرفض إسرائيل الأخذ بتحقيقات المراقبين العسكريين التابعين للأمم المتحدة ، فإن شيئاً لن يمنع القوات الإسرائيلىة من المغالاة فى تضخيم ظروف أى حادث واستغلالها كذريعة للأعمال الانتقامية (٦١) .

وفي نفس الصباح التقى موشيه ديان مع بن جوريون لصياغة البيان الرسمي الذي سيصدر بعد بداية الهجوم واقترح ديان أن تكون الصياغة (حازمة ومتوعدة لكن ينبغي ألا تكشف عن نوايانا الحقيقية) . وبعد تعديلات عديدة وافق بن جوريون على بيان موجز يقول ( أعلن المتحدث العسكري أن قوات جيش الدفاع الإسرائيلي قد دخلت الى منطقتي الكونتيتلا ورأس النقب وتتقاتل الآن مع وحدات الفدائيين ، كما أنها احتلت مواقع غرب ملتقى طرق نخل قرب قناة السويس . وقد جاء هذا العمل رداً على اعتداء الجيش المصري على خطوط المواصلات الإسرائيلية في البر والبحر بهدف تدميرها وحرمان المواطنين الإسرائيليين من الحياة الآمنة .

ولم يقم الجيش المصري بالطبع بأى أعمال عدوانية ، لكنها كانت الذريعة للتدخل الأنجلوفرنسي (٦٢) .



وفي نفس الصباح وافق بن جوريون على نص البيان الرسمي



توثيق الفصل الأول



- (\*) روبرت منزيس - رئيس وزراء استراليا .
- (١) صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ١٢٧ .
- (٢) المصدر السابق ، نفس المكان ، انظر كذلك محمود فوزى - حرب السويس ١٩٥٦ ، ص ٥٩ - ص ٦١ .
- (٣) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - إدارة الأبحاث ، قسم النشرات ، نشرة خاصة عن العدوان الثلاثى على مصر بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٥٦ ، سرى جداً ، ص ٢ ، انظر كذلك :
- Mahmoud Fawzi – The Suez War, 1956, pp. 94–96.
- (٤) صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ١٢٧ ، انظر كذلك ايدن ، انتونى - مذكراته ، الجزء الأول ، ص ١٢٥ .
- (٥) ايدن ، انتونى - مذكراته ، الجزء الأول ، ص ١٣٥ ، انظر كذلك بن جوريون ، دافيد - إسرائيل تاريخ شخصى ، إعداد مركز البحوث والمعلومات ، ص ٢١٧ .
- (٦) أزو ، هنرى - فح السويس ، ص ٢٦٧ ، انظر كذلك :
- Robertson, Terence – Crisis, pp. 126–128.
- (٧) صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ١٢٨ - ص ١٢٩ .
- (٨) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - تقرير كته وكيل إدارة الأبحاث بالخارجية المصرية ، يوم ٢ اكتوبر ١٩٥٦ ، ورفع إلى الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية ، انظر كذلك محمود رياض - مذكراته ، الجزء الأول ، الجزء الثانى ، أماكن متفرقة .
- (٩) صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ١٢٩ - ص ١٣٠ ، انظر كذلك محمد حسنين هيكل - ملفات السويس ، ص ١٢٨ - ص ١٢٩ - ص ١٣٠ ، بارزوهار ، ميشيل - حرب السويس ، مصلحة الاستعلامات ، ص ٦٧ - ص ٧٣ .
- Barker, A.T. Suez the Seven Days War, London 1969, pp. 77–79.
- (١٠) محمود رياض - مذكراته ، الجزء الثانى ، الأمن القومى العربى بين الانحياز والفضل ، ص ١٤٧ - ص ١٥٠ ، انظر كذلك صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ١٣٥ - ص ١٣٨ .

(١١) صلاح بسيوني - مصر وأزمة السويس ، ص ١٣٢ .

(١٢) المصدر السابق نفسه .

Mahmoud Fawzi – The Suez War, 1956, p. 75, see Also.

(١٣) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية مرسله من السفير عمر لطفى المنسوب

المصرى الدائم فى الأمم المتحدة ، إلى وزير الخارجية الدكتور محمود فوزى برقم

٤٣٤٥ - ٤٣٤٥ بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٩٥٦ ، انظر كذلك محمود فوزى - حرب

السويس ١٩٥٦ ، ص ٧٩ .

(١٤) صلاح بسيوني - مصر وأزمة السويس ، ص ١٣٣ ، انظر كذلك :

Mahmoud Fawzi – The Suez War, 1956, pp. 88-89.

(١٥) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - برقية من السفير عمر لطفى إلى الدكتور

محمود فوزى برقم ٤٣٤٨ - ٤٣٤٩ بتاريخ ، ٢٥ سبتمبر ١٩٥٦ .

(١٦) صلاح بسيوني - مصر وأزمة السويس ، ص ١٣٤ .

(١٧) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - اتصالات الدكتور محمود فوزى فى نيويورك

أيام ٣ ، ٤ أكتوبر ١٩٥٦ ، برقية مكتب نيويورك فى ٤ / ١٠ / ١٩٥٦ برقم ٤٧٠٤ /

٤٧١٧ .

(١٨) نفس المصدر السابق ، مقابلة بين الدكتور محمود فوزى وداج همرشولد يوم ٤ أكتوبر

١٩٥٦ بمكتب همرشولد .

(١٩) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - مقابلة بين الدكتور محمود فوزى وداج

همرشولد بمكتب الأخير فى الأمم المتحدة مساء يوم ٤ أكتوبر ١٩٥٦ .

(٢٠) Neff, Donald – Warriors At Suez War 1956, pp. 97-98.

انظر كذلك محمود فوزى - حرب السويس ١٩٥٦ ، ص ٨٠ .

Mahmoud Fawzi – The Suez War 1956, pp. 97-98. (٢١)

Ibid, pp. 97-98, See Also, Fimer, Herman, Dulles Over Suez, (٢٢)

London, 1964, pp. 701-705.

(٢٣) وثائق الخارجية المصرية - كلمة الدكتور محمود فوزى أمام مجلس الأمن ، يوم ٨ أكتوبر ١٩٥٦ . انظر كذلك :

Mahmoud Fawzi – The Suez War, 1956, pp. 98–99.

Mahmoud Fawzi – Ibid, pp. 702–707, See Also, Neff, Donald – (٢٤) Warriors At Suez, pp. 429–432.

(٢٥) وثائق الخارجية المصرية - غير منشورة - مجموعة وثائق أزمة السويس ، برقية مكتب نيويورك رقم ٤٨٦٩ بتاريخ ١٢/١٠/١٩٥٦ .

(٢٦) نفس المصدر السابق ، برقية مكتب نيويورك رقم ٤٨٧٠ بتاريخ ١٣/١٠/١٩٥٦ ، انظر كذلك صلاح بيسيوني - مصر وأزمة السويس ، ص ١٥٠ - ص ١٥١ ، محمود فوزى - حرب السويس ١٩٥٦ ، ص ٨٤ - ص ٨٥ .

United Nations – Official Record of the General Assembly (٢٧) Emergency and Ordinary Meeting . Security Council Official Record and Annexes, Also as a Summary, Year Book of the United Nations, 1956.

Mahmoud Fawzi – The Suez War 1956, pp. 104–105, See Also, (٢٨) Neff, Donald – Warriors At Suez, pp. 435–437, Eden, Anthony – Full Circle, pp. 375–378.

Neff, Donald – Op.Cit., pp. 442–444. (٢٩)

Ibid, p. 445, See Also Eisenhower, Dwight – Waging Peace, (٣٠) 757–775.

(٣١) صلاح بيسيوني - مصر وأزمة السويس ، ص ١٦٨ ، انظر كذلك :

Neff, Donald – Warriors At Suez, pp. 446–448, Fimer, Herman, Dulles Over Suez, London, 1964, pp. 722–724.

Neff, Donald – Ibid, pp. 450–453, See Also : (٣٢)

صلاح بيسونى - مصر وأزمة السويس ، ص ١٨٦ - ص ١٨٧ .

Robertson, Terence – Crisis, pp. 765–767.

Neff, Donald – Warriors at Suez, pp. 456–459, see Also Robertson, (٣٣)  
Terence – Crisis, pp. 189–193.

Childers, Erskine – Road To Suez, pp. 202–204, See Also : (٣٤)

Neff, Donald – Op.Cit., p. 460.

Ben-Gurion, David – Israel : A Personal History, pp. 227–233. (٣٥)

Neff, Donald – Op.Cit., pp. 462–464. (٣٦)

Ben-Gurion, David – Israel : A Personal History, pp. 208–221. (٣٧)

Lloyd, Selwyn – Suez 1956, pp. 722–724, See Also : Neff, Donald (٣٨)  
– Op.Cit., pp. 466–468.

Lloyd, Selwyn – Op.Cit., pp. 726–728, See Also : Robertson, (٣٩)  
Terence – Crisis – The Inside Story of the Suez Conspiracy, London  
1964, pp. 112–114.

Neff, Donald – Op.Cit., pp. 471–472, See Also : Ben-Gurion, (٤٠)  
David – Israel : A Personal History, pp. 768–769, Dayan, Moshe –  
Diary of The Sinai Campaign, pp. 722–724, Dayan, Moshe Story of  
My Life, pp. 66–68.

(٤١) وثائق الحربية المصرية - غير منشورة - ملف رقم ٩٨ ، فكرة الخطة موسكيتير المعدلة  
النهائية ، انظر كذلك روبرتسن تيرنس - الأزمة ، قصة مؤامرة العدوان الثلاثى على  
مصر ، ص ٤١ - ص ٤٢ .

(٤٢) المصدر السابق نفسه .

(٤٣) المصدر السابق نفسه ، انظر كذلك :

Dupuy, Trevor – Elusive Victory : The Arab–Israeli War 1947–1974,  
pp. 189–191.

Neff, Donald – Warriors at Suez, pp. 502–503, See Also : Fimer, (٤٤)  
Herman – Dulles Over Suez, pp. 732–734.

Eisenhower, Dwight – The White House Years, pp. 115–117, See (٤٥)  
Also : Nutting, Anthony – Nasser, pp. 89–91.

Eisenhower, Dwight, Op.Cit., pp. 122–124. (٤٦)

Eisenhower, Dwight – The White House Years, pp. 653–755, See (٤٧)  
Also : Nutting, Anthony – No End of a Lesson, pp. 89–92, Childers,  
Childer, Erskine – The Road to Suez, pp. 210–214.

Eisenhower, Dwight – Op.Cit., p. 158, See Also : Heikal, Mohamed (٤٨)  
– Nasser, The Cairo Documents, pp. 89, 94, Fimer, Herman –  
Dulles Over Suez, pp. 157–159, Neff, Donald – Warriors at Suez,  
pp. 502–506.

Neff, Donald – Ibid, pp. 508–509, See Also : Nutting, Anthony – (٤٩)  
No End of a Lesson, pp. 788–789.

Neff, Donald – Op.Cit., p. 511, See Also : Fimer, Herman – Dulles (٥٠)  
Over Suez, pp. 202–204.

Eisenhower, Dwight – The White House Years, pp. 276–277, See . (٥١)

Eisenhower, Dwight – The White House Years, pp. 220–223, See (٥٢)  
Also Hughes, Emmet John – The Ordeal of Power, pp. 87–89.

Eisenhower, Dwight – Op.Cit., p. 224, See Also : Nutting Anthony (٥٣) – Nasser, pp. 164–167, Heikal, Mohamed – Nasser, Op.Cit., pp. 102–105.

(٥٤) رسالة من السفير أحمد حسين إلى وكيل وزارة الخارجية المصرية الدائم ، أرسلت صورة منها إلى الرئيس عبد الناصر بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٩٥٦ .

(٥٥) أزو ، هنرى - فخ السويس ، ص ٢٥٣ - ٢٥٥ ، انظر كذلك :

Fimer, Herman – Dulles Over Suez, pp. 242–248, Neff, Donald – Op.Cit., pp. 494–496.

Eisenhower, Dwight – The White House Years, 215–221, See Also : (٥٦) Brecher Michael – Decisions in Istael's Foriegn Policy, pp. 155–157.

Mahmoud, Fawzi – The Suez War 1956, pp. 120–121. (٥٧)

Eisenhower, Dwight – The White House Years, pp. 235–238, See (٥٨) Also : Mahmoud Fawzi – The Suez War 1956, pp. 122–123.

Fimer, Herman – Dulles Over Suez, pp. 184–186. (٥٩)

انظر كذلك صلاح بسيونى - مصر وأزمة القناة ، ص ٢١٠ .

Neff, Donald – Op.Cit., pp. 421–423, See Also : Beaugre, Andre, (٦٠) The Suez Expedition 1956, pp. 194–197, Childers, Erskine – The Road to Suez, pp. 213–216.

انظر كذلك بوفر ، أندريه - حملة السويس ، ترجمة المخابرات العامة ، ص ١٢٢ - ص ١٢٧ .

Neff, Donald – Op.Cit., pp. 433–436, See Also : Robertson, Terence (٦١) – Crisis, pp. 141–144.

United Nations, Year Book of the United Nations, 1956. (٦٢)

(٦٣) دايان ، موسى - يوميات معركة سيناء ، ص ١٣٩ - ١٤٢ ، انظر كذلك :

Dayan, Moshe - Story of My Life, London 1971, pp. 62-64,

Ben-Gurion, David - Israel : A Personal History, pp. 102-103,

Childer, Erskine - The Road to Suez, London 1962, p. 54.



## الفصل الثانى

### العدوان

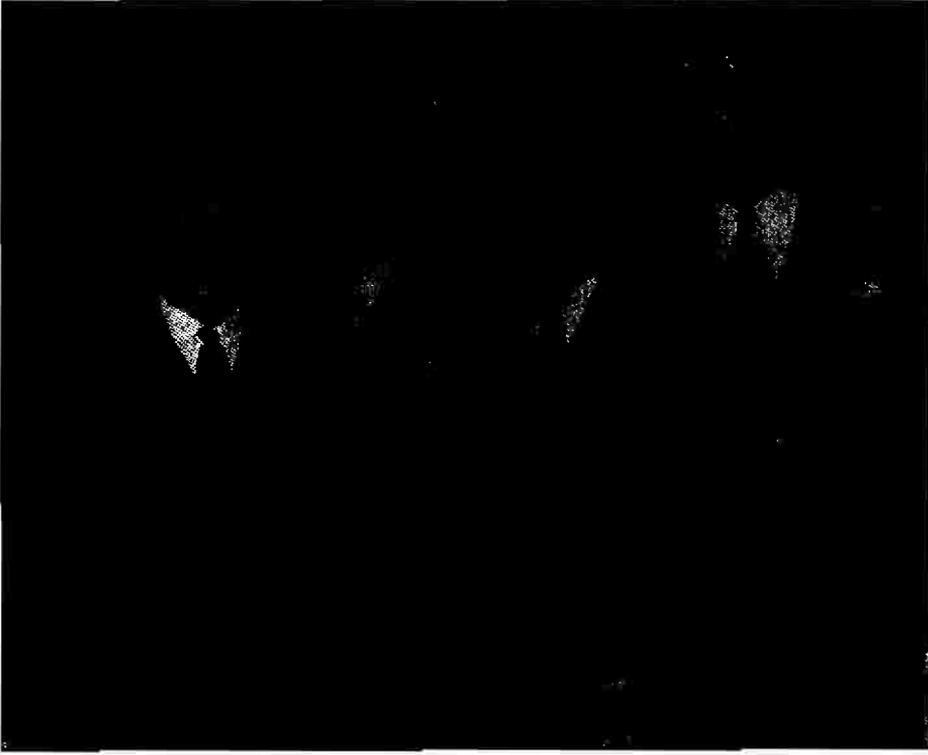
تمهيد - العدوان - خطة الهجوم الإسرائيلى - التحرك الأمريكى - الإنذار  
الاتجلىفرنسى - مصر ترفض الإنذار - قنابل الطائرات الاتجلى فرنسية تؤكد  
التواطؤ - التحرك الاتجلى فرنسى - قبول إسرائيل وقف النيران - تطور تصدع  
التواطؤ - تواطؤ ثنائى جديد - التعليمات الأخيرة - العملية المحمولة جواً  
والإبرار - المعتدون يطلبون هدنة - أكاذيب فى مجلس العموم والامم  
المتحدة - موقف الجبهة الداخلية المصرية - تعليق .

#### تمهيد :

بعد انتهاء جلسات مجلس الأمن من النظر فى تأميم مصر شركة قناة السويس لم يعد أمام إيدن وموليه إلا المفاوضة التى طالما دعت إليها مصر، والتى أخذ همرشولسد يعد لها العدة فبدأت دعايتهما بتسميم الجر والزعم بأن الدور على مصر لتتقدم باقتراحاتها - ثم - خشية من افتضاح الحقيقة - طالبتا باقتراحات مكتوبة ثم - إمعاناً فى التتمويه - اتجهت دعايتهما إلى وجوب تقديم مصر اقتراحات كافية ! ولم يعقد الاجتماع الذى كان مقدراً له أن يتم بواسطة همرشولسد بجنيف يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ إذ وقع العدوان الثلاثى فى عصر ذلك اليرم .

والواقع أن المملكة المتحدة وفرنسا لم تقبلتا استئناف مباحثات نيويورك ، لأن الحل الذى لا تكونان فيه الطرف الأقوى سيكون لصالح مصر ومؤيداً للتأميم الذى بدأ الرأى العام العالمى يتقبله خاصة وأن الملاحه فى القناة انتظمت تماماً رغم مؤامراتهما التخريبية .

ومن ناحية أخرى كانت مصر تدعم مركزها بدعوتها القوية للتحرير ، وإعلانها سياسة عدم الانحياز ، وعقدتها صفقات الأسلحة من الترسانة الشرقية مما أكد زعامتها للشرق العربى ، فأمن الاستعمار أن ساعته قد دنت سواء فى الجزائر - بالنسبة لفرنسا - أو بالنسبة للمصالح الاقتصادية الكبرى للمملكة المتحدة - وهكذا سارت سياسة الغرب ومطامع إسرائيل فى اتجاه واحد إلى أن بلغت نقطة الالتقاء ، وهى ضرورة هزيمة مصر وتحطيم النظام التحررى القائم فى القاهرة وكسر شوكة قواتها العسكرية المضطردة القوة والنمو .



وفى نفس الوقت اجتمع أقطاب حكومتى المملكة المتحدة وفرنسا  
إيدن وموليه وبينو

وفى نفس الوقت الذى اجتمع فيه أقطاب حكومتى المملكة المتحدة وفرنسا لتجديد شباب الاتفاق الودى المتعقد بينهما عام ١٩٠٤ ، توالت الأنباء عن زيادة تحركات اساطيل الدولتين نحو شرق البحر المتوسط واستغلت الدعاية الغربية كل فرصة سانحة لاتهام مصر وتجريحها - كما وقع فى حادث الباخرة أتوس - وذلك بغرض تعبئة رأى العام داخل بلادهما وفى العالم أجمع ضد مصر وإعداده لقبول العدوان عليها .

وعندما أعلنت إسرائيل التعبئة العامة لاحت طلائع العدوان فى الأفق ، وزاد بن جوريون كعادته من التباكى على السلام واتهام مصر بانتهاكها بتحالقاتها الثنائية مع شقيقاتها العربية وزيادة هجمات الفدائيين العرب على إسرائيل ، مع خطورة الوضع فى المنطقة بعد عقد مصر صفقة الاسلحة التشيكية التى أخلت بموازن القوى فى المنطقة .

كما أخذت أبواق الدعاية الغربية - وخاصة البريطانية - تحذر من خطورة الوضع فى الشرق الأوسط مما دعا الرئيس إيزنهاور إلى تحذير بن جوريون من تهديد السلام فى المنطقة .

## العدوان

بدأ العدوان الإسرائيلى على الأراضى المصرية فى سيناء فى الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ ، وهو نفس موعد المفاوضات المتفق عليها بجنيف . وقد بدأ هجوم إسرائيل بإسقاط كتبية مظلات فوق الممر الشرقى لمسمر متلا لتخلق الذريعة للتدخل الأنجلوفرنسى على نحو ما اتفق عليه فى بروتوكول سيفر .

كان التحرك العسكرى الإسرائيلى مفاجئاً للقيادة المصرية التى لم تجد سبباً واضحاً يبرره فى هذا التوقيت بالذات فقد كان الموقف على خطوط الهدنة المصرية الإسرائيلىة هادئاً طوال الأسابيع الأخيرة ، فمنذ بدأت أزمة القناة ولاح خطر التدخل العسكرى الأنجلوفرنسى فى منطقتها - لقرر سحب مجموعة الجيش الرئيسية من سيناء وترك ٦ كتائب فيها فقط حتى لاتتعزل قوات سيناء عن الدلتا إذا ما قامت القوات الأنجلوفرنسية بهجوم يستهدف قناة السويس .

وقد وزعت تلك الكتائب الست التى بقيت فى سيناء قرب خط الحدود الشرقية حيث تمركزت كتيبتان فى منطقة ( أم قطف ) وكتيبتان فى منطقة (الشيخ زويد) مع بقاء كتيبتين فى

الخلف في منطقة (العريش ) فضلاً عن قوات الحرس الوطني وحرس حدود فلسطين الموجود بقطاع غزة .



وكانت المواقع المصرية شبه خالية إلى درجة دفعت الجنرال ( بيرنز ) كبير مراقبي الهدنة إلى أن يكتب تقريراً لـ ( داج همرشولد ) السكرتير العام للأمم المتحدة يقول فيه ( إن تقلص حجم القوات على الخطوط المصرية يمثل إغراءً شديداً لإسرائيل ) إلا ان الرئيس عبدالناصر استبعد أن تنزلق إسرائيل إلى هذا الإغراء في تلك المرحلة <sup>(1)</sup> .

وكان تقدير الرئيس عبدالناصر وقست أن اشتد خطر التدخل الأنجلو فرنسي أن إسرائيل سوف تتردد عن التورط فيه حفاظاً على صورتها أمام الرأي العام العالمي ، واستبعد أن تقسوم بدور التابع لاثنتين من الدول الاستعمارية الكبرى كما كان تقديره بعد تراجع خطر التدخل الأنجلو فرنسي عقب انتهاء مناقشات مجلس الأمن أن إسرائيل لن تسارع

بالعمل المسلح والا فإنها سوف تظهر نفسها فى صورة من يعيد تأزم الموقف فى الشرق الاوسط بعد أن بدت احتمالات انفراجه خاصة ، وأن ذلك سوف يعرضها للوم شديد ، ويضعها فى موقف سياسى سيئ سوف تحرص على تجنبه (٢) .

توجه الرئيس عبدالناصر إلى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة فى كبرى القبة وهو مازال يتساءل عن أهداف الهجوم الإسرائيلى مستبعداً احتمال تواطؤ إسرائيل فى عمل مشترك مع المملكة المتحدة وفرنسا ، ومن الغريب أنه لم يشك فى هذا التواطؤ حتى بعد أن قرأ نص البيان الإسرائيلى عن نزول المظلات الإسرائيلىة فى صدر الحيطان التى تبعد نحو ٦٥ كيلو متراً شرق قناة السويس ولم يكن يستبعد تورط إيدن أو موليه فى التواطؤ لحسن ظنه بهما ولكن لأن مجرد شبهة التواطؤ مع إسرائيل كفيلاً بإسقاط كل نظم الحكم الموالية لهما فى الوطن العربى وزيادة النقمة عليهما فيه (٣) .

لقد رجح الرئيس عبدالناصر أنه إذا أرادت المملكة المتحدة وفرنسا غزو مصر فإنه من الخير لهما مهما كانت المصاعب والمشاق أن تجيئا إلى مسرح العمليات جهاراً نهاراً فى استعراض قاطع للقوة . وينطبق ذلك أيضاً على إسرائيل ، فإذا أرادت أن تهاجم فما عليها إلا ان تستغل أكذاس السلاح الذى حصلت عليه فتخترق حدود مصر بمفردها وتقوم بعملية محدودة ، أما أن يتواطأ الثلاثة على تنفيذ خطة سرية على النحو الذى كشفت عنه الأيام فقد ظل الرئيس عبد الناصر يستبعده لساعات طويلة (٤) .

ولهذا كانت قراراته عندما وصل إلى القيادة العامة للقوات المسلحة أن تدفع القوات المصرية لمواجهة هجوم إسرائيل .

### خطة الهجوم الإسرائيلى

كانت الخطة الإسرائيلىة التى لخصها الجنرال موشيه ديان فى كتابه يوميات معركة سيناء ووجدت بعض تفاصيلها فى حطام طائرة البريجادير الاسرائيلى عساف سمحونى الذى سقطت طائرته داخل الأردن تلخص فيه إسقاط كتية مظلات من اللواء ٢٠٢ مظلات فوق صدر الحيطان ثم يزحف باقى اللواء على محور الكوتيتلا - نخل - صدر الحيطان ليتضم إلى الكتية التى أسقطت شرق ممر متلا .



اللواء ٢٠٢ المظلي يخترق الحدود المصرية في الكونفلا

لينضم إلى الكتيبة التي اسقطت شرق متلا

وبعد تنفيذ الضربة الجوية الأنجلوفرنسية تتقدم المجموعة ٣٨ عمليات بقيادة البريجادير يهودا والاش ، والمكونة من اللواء السابع المدرع واللواء الرابع المشاة ، واللواء السابع والثلاثين الميكانيكي للاستيلاء على أم قطف بينما تتقدم المجموعة ٧٧ عمليات بقيادة البريجادير حاييم بارليف والمكونة من اللواء السابع والعشرين المدرع واللواء الأول المشاة ، واللواء الحادى عشر المشاة لاحتلال رفح والعريش ثم تواصل المجموعتان الزحف حتى يصلا إلى ١٦ كيلومتر شرق القناة حيث يتوقفا هناك وفي الجنوب تتقدم مجموعة اللواء التاسع الميكانيكي بقيادة البريجادير إبراهيم بوفيه من ايلات الى شرم الشيخ<sup>(٥)</sup> .

### التحرك الامريكى :

اتصل جون فوستر دالاس هاتفياً بكابوت لودج المندوب الأمريكى بالأمم المتحدة بعد

٤٠ دقيقة من إذاعة أنباء الهجوم الإسرائيلي ، وخطره باختراق القوات الإسرائيلية بقوة غير معروف حجمها وهل هي مجرد إغارة انتقامية أم حرب سافرة وكان المستر دالاس قد استدعى السفيرين الفرنسي والبريطاني ليجس النبض عما اذا كانت حكومتها ستتحرك داخل الأمم المتحدة لمطالبة إسرائيل بالانسحاب أم لا<sup>(٦)</sup> وفي نفس تلك الليلة أعلن المتحدث باسم البيت الأبيض أن الولايات المتحدة ستلتزم بتعهداتها بمساعدة ضحية أى عدوان فى الشرق الأوسط ، وأن الحكومة الأمريكية ستطلب انعقاد مجلس الأمن . وكان الموقف فى واشنطن مشحوناً ويعبر عن السخط والحنق لما تقوم به إسرائيل مع الشك فى نوايا المملكة المتحدة وفرنسا ، وقد انهالت الاستفسارات على لندن وباريس عما يعتمزانه مصحوبة بالتحذير من أى عمل عسكرى ، والتأكيد بأن الولايات المتحدة سوف تقف ضده <sup>(٧)</sup> .

ولدى وصول الرئيس إيزنهاور إلى البيت الابيض وجد فى انتظاره كبار المسئولين الأمنيين ، الأخوين دالاس ، ووزير الدفاع تشارلز ويلسون ، ورئيس هيئة الأركان المشتركة الاميرال راد فورد وآخرين . وأمر إيزنهاور دالاس بإرسال برقية صارمة اللهجة إلى الإسرائيلين . وقال الرئيس « حسناً ، فوستر عليك أن تقول لهم عليهم اللعنة ، إننا سنفرض عقوبات عليهم ، وإننا سنذهب إلى الامم المتحدة ، وسنبذل أقصى ما فى وسعنا لإيقاف هذا الشئ » <sup>(٨)</sup> .

درس الرئيس أيزنهاور مع مستشاريه الهجوم الاسرائيلى من جميع جوانبه ، ولكن لم تتضح بجلاء العلاقة بين الهجوم الاسرائيلى وحشود قوات الغزو الأنجلوفرنسية . فقد تصور عديد من المسئولين الذين حضروا الاجتماع الطارئ فى البيت الابيض أن إسرائيل تقوم بعمل لجس النبض . وظن البعض أن القوات الإسرائيلية ستتحرك بسرعة إلى قناة السويس ، وأن الأمر برمته لن يستغرق سوى ثلاثة أيام . ولم يوافق فوستر دالاس على وجهتى النظر كليهما . وإنتهى الاجتماع بعد ساعة حيث تقرر استدعاء القائم بالأعمال البريطانى المستر كولسون ، إلى البيت الأبيض ، للاجتماع بالرئيس إيزنهاور ودالاس . وأخطر أيزنهاور كولسون " بأن موقف الولايات المتحدة من المملكة المتحدة مرهون بالتطورات الجارية فى الشرق الأوسط . وأنه يشعر بضرورة الالتزام بدعم الطرف الذى يتعرض للعدوان ، على نحو ما سبق تأكيده فى الربيع الماضى ، عندما رفضت الولايات المتحدة تزويد مصر أو إسرائيل بالأسلحة . وأثناء هذا الاجتماع أصدر السكرتير الصحفى للرئيس إيزنهاور المستر هاجرتى بياناً شديد اللهجة قال فيه إن الرئيس الأمريكى قد أخبر القائم بالأعمال البريطانى

أن " الولايات المتحدة كسانت قد تعهدت بمساعدة الطرف الذى سيتعرض للعدوان فى الشرق الأوسط ، وهى عازمة على الوفاء بتعهداتها هذا " (٩) .

### الإذار الأنجلو فرنسى :

حتى صباح يوم ٣٠ أكتوبر كان الرئيس عبدالناصر لا يزال يستبعد احتمال التواطؤ . ولم تمض غير ساعات قليلة حتى دعيا السفيران المصرىان فى لندن وباريس إلى وزارتى الخارجية فى العاصمتين لكى يتسلم كل منهما إنذاراً بريطانيا - فرنسياً يطالب كلاً من مصر وإسرائيل بالانسحاب بعيداً عن قناة السويس لمسافة عشرة أميال حتى لا يتعرض هذا المرفق الدولى المهم للخطر من جراء القتال الدائر عن كشب منه ، وبناء على ذلك فإنهما يطلبان من حكومة مصر أن :

- ١ - توقف فوراً كل الأعمال الحربية فى البر والبحر والجو .
- ٢ - تسحب كل القوات المصرية إلى مسافة عشرة أميال غرب القناة .
- ٣ - حتى يمكن ضمان حرية مرور سفن جميع الدول فى القناة ، وحتى يمكن فصل القوات المتحاربة ، تحتل القوات البريطانية والفرنسية مواقع رئيسية فى بورسعيد والإسماعيلية والسويس ، وكانت الساعة السادسة مساء الثلاثاء ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ ، عندما صدر هذا الإذار المشترك .

كما طلبت حكومتا المملكة المتحدة وفرنسا رداً على هذه المكاتبة خلال اثنتى عشرة ساعة . وإذا انتهى هذا الوقت قبل أن تتعهد إحدى الحكومتين أو كلاهما بتنفيذ هذا الإذار ، فإن قوات المملكة المتحدة وفرنسا ستتدخل بأية قوات تراها ضرورية لضمان التنفيذ (١٠) .

وشعر تريفلين سفير المملكة المتحدة بغاية الحرج إذ لم يعلم بالإذار الأنجلوفرنسى إلا فى وقت متأخر من عصر يوم ٣٠ أكتوبر ، عندما لفت نظره أحد مرؤوسيه إلى أن جهاز التيكور يحمل معلومات مهمة عن توجيه إنذار أنجلوفرنسى إلى القاهرة وتل أيب ثم تسليمه لسفيرى الدولتين فى لندن وباريس (١١) .

وصار استدعاء تريفلين لمقابلة الرئيس عبدالناصر حيث وجد معه الدكتور فوزى وزير الخارجية وبادره الرئيس عبدالناصر قائلاً بهدوء " أهذا هو إنذاركم ؟ فأجابه تريفلين " لم يقل أحد إنه إنذار بل هو مجرد رسالة ترمى إلى التدخل لوقف القتال وحماية القناة " .



ورد الرئيس عبد الناصر " إن بإمكاننا أن ندافع عن القناة ، وسوف ندافع عنها غداً ضد إسرائيل ، وضد آخرين " (١٢) .

### مصر ترفض الإنذار :

رفضت مصر الإنذار الأنجلوفرنسي بعد مناقشات في مجلس الوزراء ، تبين خلالها أن الرئيس عبد الناصر لم يأخذه مأخذ الجسد ، إذ كان يرجح أن الغرض منه أن تحتفظ مصر بالجزء الأكبر من قواتها المسلحة دون دفعها إلى أرض المعركة في سيناء فتتيح لإسرائيل بذلك أن تحقق النصر نتيجة ضعف وقلة القوات التي تواجهها (١٣) .

ثم أصدرت القيادة العامة المصرية بلاغاً رسمياً من الإذاعة المصرية ، بعد منتصف الليل عن سيطرة القوات المصرية على الموقف الذي نشأ عن عدوان إسرائيل ، وأكدت عدم تعرض قناة السويس لأي تهديد عسكري ، وأن قوافل السفن تعبر القناة بأمن كامل وسلامة تامة ، وأن القوات المصرية المسلحة قادرة على حماية قناة السويس تحت كل الظروف (١٤) .

## قنابل الطائرات الانجلى فرنسية تؤكد التواطؤ:

والآن بدا شبح التواطؤ ماثلاً للعيان ولكن جمال عبد الناصر كان غير قادر على التصديق ، ولعله لم يصدق تماماً إلا عندما انتهت فترة الإنذار ، وبدأت أول غارة للطائرات القاذفة البريطانية على مطار «الماظة» الملاصق لبيته فى منشية البكرى مساء يوم ٣١ أكتوبر ؛ وفاءً للتعهد الذى قطعه إيدن على نفسه لبن جوربون بتدمير سلاح الطيران المصرى (١٥) .

مع غروب شمس الأربعاء ٣١ أكتوبر ، بدأت الطائرات الأنجلوفرنسية تنفيذ الضربة الجوية الشاملة ضد مطارات مصر ودفاعها الجوى . وبسقوط القنابل على مطار الماظة الحربى المجاور لبيت الرئيس عبدالناصر ، قُطِعَ الشك باليقين وتأكد الرئيس عبدالناصر أنه يواجه عدواناً ثلاثياً يتمتع بتفوق ساحق .

وهرع الرئيس إلى مقر قيادة القوات المسلحة بكوبرى القبة حيث اقتضى تطور الأمور إعادة النظر فى الخطة المصرية . واختلفت آراء الموجودين بمكتب اللواء محمد عبد الحكيم عامر من بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة السابق وعدد من الوزراء وقادة القوات المسلحة . وظهر أن هناك اتجاهين لمواجهة الموقف يتلخصان فى الآتى (١٦) :

**الاتجاه الاول :** وقد تبناه اللواء عامر يحض على القتال حتى آخر طلقة وآخر رجل .

**الاتجاه الثانى :** وقد تبناه صلاح سالم عضو مجلس الثورة السابق ، وكان ينحو إلى الواقعية ، وأن مصر تواجه ثلاثة أعداء وليس عدواً واحداً هو إسرائيل ، لا سيما وأن العدوين من القوى الكبرى ويملكان من القوة ما لا قبل لمصر بمواجهته ، ومن ثم فقد اقترح " صلاح سالم " - وهو فى أشد حالات الأسى والحزن - أنه لاخيار أمام " الرئيس عبد الناصر " غير الاستسلام وبسرعة ، قبل أن يتمكن الطيران المعادى من تدمير مرافق مصر الحيوية وتمزيق جيشها وتهديم مدنها (١٧) ، وسرعان ما اعترف صلاح سالم بخطئه بعد أن هدأت أعصابه الثائرة وتطوع لقيادة منطقة السريس (١٨) .

ولم يتأثر الرئيس عبد الناصر بما سمعه من هذين الاتجاهين ، ومضى يشرح وجهة نظره فقال : " إنه لو كان يعرف أن المعركة هى شخصه لابتعد بأى وسيلة عن مسرح الحوادث ، ولكن المستهدف هو مصر وشعبها ، وإذا لم يقف الشعب المصرى فى هذا

الموقف ويخوض المعركة دفاعا عن وطنه ومستقبله فإن مصير الأمة العربية كلها يصبح معرضا للضياع" (١٩) .

ودعا عبد الناصر الى اجتماع محدود بمكتب رئيس هيئة أركان الحرب الفريق محمد ابراهيم ، حضره بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة السابق المشاركون فى الحكم وقتها ، بالإضافة إلى وزير خارجية مصر الدكتور محمود فوزى ، وعدد محدود من القادة العسكريين والمستشارين السياسيين . وكان اتجاه الاجتماع مؤيداً لوجهة نظر " عبد الناصر " ، وإن كان الدكتور محمود فوزى قد أبدى ملاحظة قال فيها : " إن كل شئ يتوقف على أوضاع الاستعداد فى القوات المسلحة وعلى إمكانات تعبئة الشعب لحرب طويلة . وفى كل الأحوال فإن المعارك لا تخاض فى ميادين القتال وحدها ، وإنما تخاض فى ساحات السياسة الأوسع والأكبر ، وإنه حتى إذا استطاعت قوات الغزو ان تحتل منطقة قناة السويس ، فإنه على ثقة بقدرة مصر وأصدقائها على خوض معركة ناجحة فى الأمم المتحدة تعبىء العالم ضد الغزاة وترغمهم على الرحيل (٢٠) .

وشرح الرئيس عبد الناصر خطته لمواجهة الموقف الطارىء فكان أول ما ذكره هو ضرورة عودة الفرقة الرابعة المدرعة التى عبرت فى الليلة السابقة الى سيناء ، ووقف تقدم كل التشكيلات الأخرى التى كان مفروضاً أن تلحق بها ، مع استمرار تمسك الكتائب المشاة الست بمواقعها فى سيناء لمدة ٤٨ ساعة ، لكى تتمكن الفرقة الرابعة المدرعة من إتمام انسحابها إلى غرب القناة .

وهكذا اتخذ الرئيس عبد الناصر قراره التاريخى بإنسحاب القوات المسلحة المصرية من سيناء اثناء ليلة يوم ٣١ أكتوبر/ ١ نوفمبر ، كما أصدر أمراً بانتشار قاذفات القنابل المصرية من طراز اليوشن ، وإرسالها الى الصعيد والسعودية ، كما قطع علاقاته الدبلوماسية مع المملكة المتحدة وفرنسا ، واستولى على ممتلكاتهما فى مصر (٢١) .

وأصدر الرئيس عبد الناصر أوامره بضرورة وضع الخطط الخاصة بحرب العصابات موضع التنفيذ الفورى ، وأسند إلى زكريا محى الدين مسئولية قيادة المقاومة الشعبية ، بينما تولى كمال الدين حسين قيادة الفدائيين فى منطقة قناة السويس . واخفيت الاسلحة فى منازل وأماكن اختيرت فى كل مدينة كبيرة وصغيرة من مدن الوجه البحرى ، بالإضافة إلى الأجهزة الأخرى مثل أجهزة الارسال اللاسلكى وآلات الطباعة . كما وزعت الأسلحة على المتطوعين فى المقاومة الشعبية بواسطة عربات الجيش ، التى كانت تجوب الشوارع حاملة

مكبرات الصوت ، تدعو الناس الى الجهاد ومقاومة الغزاة الزاحفين . وإذا كان هذا الأسلوب في تنظيم المقاومة الشعبية يتسم بالارتجال ، فإنه لم يكن بغير فعالية (٢٢) .

وأخيراً صدر القرار بتعطيل الملاحة في قناة السويس لوضع العالم أمام واقع جديد ، وكانت هناك خطة مسبقة لإغراق باخرة محملة بالأسمنت في عرض المجرى ؛ لسده في اللحظة التي يصدر فيها الأمر بذلك (٢٣) .



كانت هناك خطة مسبقة لتعطيل الملاحة في قناة السويس

وبينما كانت تلك القرارات والأوامر تصدر من القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية ، اجتمع بعض رجال الأحزاب المنحلة وقرروا تشكيل وفد منهم لمقابلة الرئيس عبد الناصر لاقناعه بالموافقة على قبول الإنذار الأنجلوفرنسي ، إلا أن الرئيس عبد الناصر رفض الاجتماع بهم ، وهدد بقتلهم رمياً بالرصاص لو أصرروا على موقفهم (٢٤) .

بل إن سليمان حافظ وزير الداخلية السابق كان يرى في ذلك الوقت عودة الرئيس السابق محمد نجيب إلى الحكم ، وأن على الرئيس عبد الناصر أن يعود إلى الكتيبة السادسة المشاة التي كان بها قبل قيام الثورة ، على أن يتقدم محمد نجيب بعد عودته للحكم إلى الدول المعتدية بطلب ، يجعل مصر دولة محايدة كسويسرا دون قناة السويس على أن تضمن هذه الدول حياد مصر ؛ حتى تجنب البلاد ويلات الحرب والدمار (٢٥) .

بدأت الغارات على القاهرة وأفرغت طائرات الكانبرا والفايانت حمولتها من القنابل فوق المطارات المصرية . وبعد قليل ، قام السلاح الجوي البريطاني بغارة أخرى على مدينة القاهرة وألقى عليها ملايين المنشورات ، بهدف خفض الروح المعنوية ودعوة الشعب إلى الاستسلام . وقبل أن يطلع الشعب المصري على تلك المنشورات ، كان الرئيس عبد الناصر يخطب في الإذاعة من فوق منبر الجامع الأزهر معلناً أنه سيقا تل بجانب شعبه حتى آخر قطره في دمه ، وأنه لن يقبل تسليم بورسعيد أو الإسماعيلية أو السويس ، وأن جميع الدول الصديقة سوف تمد يد المعونة لمصر (٢٥) .



**وقال الزعيم:**

سأقاتل معكم منسأحمه غرد .. منقاتك وأضر  
نقطة رم ريتت نلم أهلا .. رينين هلملا وقارنجا  
رستقأ .. سجاهر وققاتل وقنصها إزنت الله

**..ورقة الشعب**

سحارب .. سحارب .. سحارب

وكان هدف الرئيس عبد الناصر مزدوجاً من هذا الخطاب ؛ إذ سعى إلى توسيع نطاق النزاع بالحصول على مساندة التضامن الإفريقى الآسيوى ضد هذا النوع الجديد من عدوان الاستعمار ، كما أنه هدف أيضا إلى تنشيط المقاومة الشعبية ضد الغزو المنتظر (٢٦) .

## التحرك الاتجلى فرنسى

بدأت سفن الغزو الأنجلوفرنسى فى التحرك صوب الموانئ العميقة فى مالطا والجزائر والموانئ الأخرى على البحر المتوسط ، توطئة للهجوم على مصر فى رحلة تستغرق ستة أيام (٢٧) .

وباتخاذ قرار الغزو وإصدار الأمر إلى القيادة فى قبرص ، بعث انتونى ايدن برسالة خاصة الى الرئيس أيزنهاور يحذره بالأمر ويشرح له القصد من الغزو مركزا على نقطتين أولاهما ، أن التراجع يعنى انتشار الفوضى واشتعال النيران فى كل مكان من الشرق الأوسط ، وثانيتهما أن الغرض من الغزو هو عدم ترك فراغ عسكري فى المنطقة ، التى تشكل بؤرة المصالح الدولية ؛ ولذلك فإن العملية ستكون محدودة ومؤقتة (٢٨) .

ولما لم يثلق ايدن أى رد أو تعليق على رسالته ، ظن أن الولايات المتحدة أطلقت يده أخيراً فى عملية الغزو ، ووفقا للشروط المحدودة التى ذكرها . غير أن الحكومة الأمريكية أصدرت أمرها - فى ذلك اليوم - إلى الأسطول السادس الأمريكى بإخلاء الحوض الشرقى للبحر المتوسط فوراً ؛ لتفسح بذلك المجال أمام الغزو بالأسطولين الفرنسى والبريطانى ، وتتيح لهما حرية العمل تجاه سواحل مصر فى البحر المتوسط (٢٩) .

وكانت ' موسكيتير المعدلة ' لا تزال تمثل الخطة الحقيقية للهجوم ، إلا أنها كانت تحتاج إلى بعض اللمسات الأخيرة . ولذلك فقد عقدت عدة اجتماعات لبحث تلك التعديلات ، فى يومى ٣١ اكتوبر وأول نوفمبر ، وتمثلت المشكلة الأولى فى التوقيت الذى كان القادة الفرنسيون يرون ضرورة أن يتم الإبرار فى بورسعيد يوم ٦ نوفمبر ، أما المشكلة الثانية فقد تمثلت فى تفاصيل العملية المحمولة جوا ، إذ كان المقرر أن يتم إسقاط قوة بريطانية على منطقة الجميل ، وأن يجرى الاستيلاء على الكبارى الواقعة جنوب بورسعيد بعملية تشترك فيها الحوامات . كما كان من المقرر أيضاً أن يقوم الجانب الفرنسى بإسقاط قوة فى بور فؤاد ، إلا أن الجنرال ستوكويل أعلن أن الأوامر قد صدرت اليه بإلغاء عملية الحوامات ، لوجود دفاعات مضادة للطائرات فى المنطقة .

وتمثلت المشكلة الثالثة فى أسلوب الزحف من بورسعيد صوب الجنوب ، إذ كان من المقرر فى البداية أن تتحرك القوات الفرنسية بمحاذاة الشاطئ الشرقى للقناة غير أن هذا الطريق أصبح متعذراً بسبب عمليات توسيع القناة ووجود قناة فرعية واسعة نسبياً . ومن ثم فقد أصبح التقدم فى محاذاة الشاطئ الغربى عملاً مشتركاً ، تقوم به القوات الإنجليزية والفرنسية تساعدها قوة برمائية داخل القناة ذاتها .

واستقر الرأى بعد مناقشات مطولة على أن يتولى الجنرال ماسو الفرنسى قيادة عملية القنطرة ، وكان هذا كسباً للفرنسيين ، على أن تكون القوات المتقدمة - والتي تضم كتيبتى مظلات بريطانية وكتيبة دبابات - تحت إمرة البريجادير بتلر قائد لواء المظلات البريطانية ، وكان هذا الحل الوسط يعنى أن سرعة التقدم ستكون فى يد الجانب البريطانى ، على أن أسوأ ما فى الأمر كان فى تضمين الأمر النهائى الصادر من الأركان المتحالفة ، فقرة تنص على ألا يتم التقدم نحو القنطرة إلا بمقتضى تعليمات من الجنرال ستوكويل (٣٠) .

وكانت هناك خطة عاجلة لدى هيئة أركان الحرب المتحالفة بقبرص ، تدعى الخطة " اوميليت " ، وتعتمد أساساً على انهيار المقاومة من جانب مصر إذا ما نجح الانقلاب المحتمل ضد الرئيس عبد الناصر فى القاهرة (٣١) .

ورغبة فى تحقيق السرعة ، طلب الجنرال اندريه بوفر فى اجتماع " قادة الميدان " بقبرص بدء تنفيذ خطة " اوميليت " ، إلا أن الجنرال هيو ستوكويل قائد القوات البرية الأنجلوفرنسية رفض ذلك وسأله الأدميرال دورنفورد سلاتر محتجاً بأن الصور التى التقطت لبورسعيد أخيراً من الجو تشير الى أنه يجرى دعمها بالقوات هى ومنطقة القناة ، بما يعنى التصميم على المقاومة . وقد اذعن الفرنسيون لهذا الرأى خاصة وأن الكلمة الأخيرة كانت للجنرال ستوكويل (٣٢) .

نقل الجنرال اندريه بوفر الرفض البريطانى إلى الأدميرال بيير بارجو - نائب القائد العام للغزو الأنجلوفرنسى الذى طلب منه أن يضع مشروع خطة فى إطار التوجيه الذى سبق أن تقدم به فى باريس ، وبمجرد أن اتخذ بوفر هذه المهمة ، تقدم باقتراحه فى أول نوفمبر الذى أكد فيه إمكان القيام بثلاث عمليات إسقاط بقوات المظلات : الأولى بريطانية فى منطقة الجميل ، والثانية والثالثة فرنسيتان فى منطقتى جنوب بورسعيد وجنوب بورفؤاد ، يستعليع الحلفاء بعدها أن يختبروا مدى قوة المقاومة المصرية ، ويمكن أن يتم الإسقاط فى

مناطق ضيقة تحيط بها المياه لتحتمى المظليين من احتمال مهاجمتهم بالدبابات ، حتى تصلهم قوات الغزو البحرى عند الفجر يوم السادس أو الخامس من نوفمبر .

وقد اعتبر الجنرال بوفر أن إسقاط المظلات فوق بورسعيد وبورفؤاد أهم وأكثر حسماً للأمر من الإسقاط فى منطقة الجميل . كما أنه استبعد احتمال استخدام الدبابات ضد المظليين قبل وصول قوات الغزو إليهم ، أى قبل السادس وربما الخامس من نوفمبر (٣٣) .

وأقر الأدميرال بارجو خطة الجنرال بوفر فى صباح الثالث من نوفمبر ، ثم عقد اجتماع فورى بينه وبين الجنرال كيتلى والجنرال ستوكويل حضره بوفر . وحصل الأدميرال بارجو على موافقتها على ان يعاد دراسة الخطة على مستوى القيادة المتحالفة . وتم ذلك فى اجتماع آخر " لقادة الميدان " ، عقد فى الحادية عشرة من صباح نفس يوم الثالث من نوفمبر (٣٤) .

قرر المجتمعون أن يسقط البريطانيون ٤٠٠ جندى فى مهمة التقدم نحو بورسعيد ، وبعد ١٥ دقيقة يسقط الفرنسيون ٤٥٠ جندياً جنوبى المدينة ، وتقرر أن يتم تدمير بطاريات المدفعية الساحلية المصرية بغارات جوية تفادياً لاستخدام مدافع الأسطول الضخمة فى هذه المهمة ، حتى لا يتعرض المظليون الفرنسيون لتيرانها ، كما تقرر - لنفس السبب - إلغاء عملية إسقاط المظلات فوق بورفؤاد وقد كانت هذه الخطة فى حجمها المبدئى أصغر نطاقاً من خطة الجنرال بوفر الاصلية ، وأطلق عليها خطة " تليسكوب " ، ولم يقبلها الجانب البريطانى عن قناعة بما تضمنته ، ولكن بناء على أوامر صدرت إليه بالموافقة . وعلى أية حال . . فإن الامر لم يتعد مجرد الاتفاق على خطة أخرى تضاف إلى مالدى الحلفاء من خطط كثيرة ، أما قرار بدء الغزو فلم يكن قد اتخذ بعد (٣٥) .

وصل المستر انتونى هيد وزير الدفاع البريطانى والجنرال جيرالد تمبلر إلى اسكوبى حيث القيادة المتحالفة خلال ليلة الثالث من نوفمبر ، وقابلا الجنرال كيتلى والأدميرال بارجو بهدف تأكيد الأوامر الصادرة بالهجوم ، بالإضافة إلى التوجيه الذى كانا يحملانه ، وينص على أن يقتصر الغزو على منطقة القناة (٣٦) .

## قبول إسرائيل قرار وقف النيران

فى الساعة الثامنة والنصف من صباح ٤ نوفمبر ١٩٥٦ وصل الحرج إلى ذروته لحظة أن قبلت إسرائيل قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة بوقف إطلاق النار تحت ضغط الولايات المتحدة الأمريكية المتزايد ، مع التلويح بفرض العقوبات الاقتصادية على إسرائيل إذا لم توقف القتال ، وكذا لاطمئنان إسرائيل إلى أنها حققت معظم أهدافها المنشودة من التواطؤ باحتلال كل سيناء الشمالية وقطاع غزة ، ولهذا فاجتت إسرائيل - فى مساء الرابع من نوفمبر - حليفيتها المملكة المتحدة وفرنسا بهذا الإجراء ، دون أن تكلف نفسها عناء إخطارهما مسبقاً بما اعتزمته ، فوضعتهما فى موقف بالغ الحرج ، إذ كيف لهما أن يزعا أمام العالم أجمع أنهما عازمتان على إسقاط مظللتهما فوق بورسعيد - تطوعاً وسعيّاً منهما - لوقف القتال بين المتحاربين ، بينما المتحاربان قد أوقفا القتال بينهما فعلاً -

ولقد كانت هذه اللطمة الإنتهازية من إسرائيل للمملكة المتحدة وفرنسا كافية لوأد التواطؤ واجتثاث المؤامرة الثلاثية من جذورها ، ولكن المجموعة العسكرية الفرنسية انبرت لإنقاذ الموقف فاتصل المسير جى موليه بدافيد بن جوريون ، مبيئاً له مغبة هذا الإجراء المنحرف ، وإضراره بمصالح إسرائيل نفسها بدرجة أشد مما ينزله بحليفتيه من أضرار ، خاصة وأن قوات إسرائيل لم تكن قد أتمت بعد الاستيلاء على منطقة مدخل خليج العقبة ، التى تشكل أئمن أهداف إسرائيل من الحرب ، والتى يتعذر - ان لم يستحيل حل مشكلتها اذا ما تعهدت إسرائيل أمام العالم بقبولها وقف إطلاق النار ، قبل أن تتم حسم تلك المشكلة -

وقد أحسن جى موليه الضرب على هذا الوتر الحساس ، فكان أن أصدر دافيد بن جوريون تعليماته إلى مندوب إسرائيل الدائم فى الأمم المتحدة ، بأن يعود ويضيف سطرًا إلى النص الرسمى لبيان إسرائيل ليلغى به وعدها الذى مازالت أصدائه تتردد فى قاعة الأمم المتحدة عن قبولها إيقاف القتال ؛ فيشترط لذلك شروطا ثلاثة ، هى أن تقبل مصر الدخول مع إسرائيل فى مفاوضات سلام ، وأن تعد مصر برفع حصارها الاقتصادى عن إسرائيل ، وأن توقف إلى الأبد أعمال الفدائين العرب ضدها . وبهذا لم يكن رجوع إسرائيل عن وعدها حياةً منها لما فعلته بحليفتيها ، بل يقيناً منها بفداحة خسارتها من جراء الخروج عن دورها المرسوم فى مخطط التواطؤ .

## تطور تصدع التواطؤ

كان لاختلاف الأسلوب وتعارض الأهداف بين أطراف محور التواطؤ الثلاثى - لندن ، باريس ، تل أبيب - منذ أن تم توقيع بروتوكول سيفر السرى ليلة ٢٤ أكتوبر ١٩٥٦ آثار بالغة على سير الحرب بصفة عامة ، والغزو البحرى الأنجلوفرنسى الذى يعتبر المجهود الرئيسى للعدوان الثلاثى بصفة خاصة . وقد حملت نفس فقرات بروتوكول سيفر جرثومة هذا الاختلاف منذ البداية ، ثم اتسع الخرق ، حتى بلغ حد التمزق فى مناسبات ثلاث ، حدثت أولها خلال مرحلة حصر العدوان الإسرائيلى والاستعداد لتدميره ، وذلك عندما صمم دافيد بن جوريون صباح ٣١ أكتوبر على النكوص ، وعدم إكمال دوره فى الحرب ، وسحب كافة القوات الاسرائيلية من سيناء بمجرد أن تأخرت المملكة المتحدة وفرنسا عن تنفيذ الضربة الجوية الشاملة ضد مصر ، صباح يوم ٣١ أكتوبر ، طبقاً للموعود المتفق عليه فى البروتوكول<sup>(٣٧)</sup> ، رغم أن الدافع لذلك كان الحرص على تجنب المقاتلات المصرية نهائياً ، والتي لم تكن تستطيع القتال ليلاً لعدم توفر الأجهزة الخاصة بها للقيام بتلك المهمة .

## تواطؤ ثنائى جديد

وخلال مرحلة النضال من أجل تحقيق التوازن الاستراتيجى فى مسرح الحرب ، استفحل أمر التصدع فى محور التواطؤ الثلاثى ، عندما سعت كل من فرنسا وإسرائيل فى ظلام ليلة ٣ نوفمبر ١٩٥٦ إلى عقد تواطؤ ثنائى بينهما خفية عن شريكتهما الثالثة بريطانيا - وجاء هذا التواطؤ الثنائى نتيجة اختلاف وجهات نظر المجموعة العسكرية " الفرنسية " مع المجموعة السياسية " البريطانية " فى أسلوب إدارة الحرب ضد مصر ؛ إذ اصطدم الأدميرال ديسكار بارجو نائب القائد العام لقوات الغزو البحرى مع رئيسه الجنرال تشارلس كيتلى ، فيما يتعلق بضرورة الإسراع فى شن الغزو البحرى<sup>(٣٨)</sup> .

ولثقة بارجو المطلقة فى تأييد الحكومة الفرنسية لوجهة نظره ، أرسل فى الساعة الثالثة والنصف من عصر يوم السبت ٣ نوفمبر ، برقية إلى وزارة الدفاع الفرنسية ، يطلب فيها سحب وحدات المظلات الفرنسية الموجودة بمعسكر ميشيل لوجران فى قبرص من تحت إمرة الجنرال كيتلى ، ووضعها تحت قيادة هو ؛ حتى تتوفر له حرية العمل المنفرد مستقلاً عن رئيسه المتردد ، كما طلب من حكومته فى الوقت نفسه ان تبدأ الاتصالات بالحكومة

الإسرائيلية لتنسيق التعاون المشترك معها ، لتنفيذ عدوان ثنائي ضد مصر ، يبدأ فى صباح ٤ نوفمبر ؛ بهدف الاستيلاء على منطقة بورفؤاد والقنطرة شرق .

وقبل أن ترد الحكومة الفرنسية على الأدميرال بارجو ، كان رئيس أركان حربه الجنرال جازان قد أرسل إلى معسكر ' ميشيل لوجران ' ليعبئ كتيبتى مظلات فرنسيين ، ويضعهما فى حالة استعداد وتأهب للنزول فوق القنطرة شرق وبورفؤاد صباح يوم ٤ نوفمبر ، كما أرسل تعليماته إلى الملحق العسكرى الفرنسى بتل أبيب ؛ لينسق تفاصيل العمل الثنائى الفرنسى الإسرائيلى المشترك (٣٩) .

ولم تكن الحكومتان الفرنسية والإسرائيلية بأقل تعطشا من الأدميرال بارجو إلى عقد هذا التواطؤ الثنائى ، كما لم يقف بروتوكول سيفر - ولو لبرهة قصيرة - حائلا بينهما وبين خداع الشريك الثالث - المملكة المتحدة - بهذا الأسلوب الملتوى . وفى ليلة ٤/٣ نوفمبر أسرع الملحق العسكرى الفرنسى بتل أبيب ، الكولونيل موريس ، ليضع الخطوط الأولى لهذا التواطؤ الجديد مع وزارة الدفاع الإسرائيلية ، وتحديد أبعاد هذا التواطؤ الثنائى وإطاره ، ثم انتقل إلى رئاسة الأركان العامة الإسرائيلية لصياغة الفكرة فى مخطط كامل الحلقات مع رئيس الأركان العامة الجنرال موشيه ديان .

إلا أن الجنرال ديان طرح رأيا أشد التواء وأكثر خروجا على البروتوكول ؛ إذ اقترح أن تترك قوات الغزو البحرى الفرنسية كلها المنطقة المحددة لإنزالها شرق بورسعيد ، وتأتى إلى ساحل العريش ، لتستقبلها القوات الإسرائيلية وتفتح امامها طرق واتجاهات سيناء الثلاثة ، كما توفر لها كافة المساعدات لتصل إلى قناة السويس من طرق متعامدة عليها ، تؤدى مباشرة إلى القنطرة والإسماعيلية والسويس فى وقت واحد ، دون أن تتعرض لمقاومة مسلحة ، أو تصادف نضالا شعبيا ، أو يعرقلها تردد القائد العام البريطانى .

وبينما كان هذا التواطؤ الثنائى بين فرنسا وإسرائيل يأخذ شكله التنفيذى فى رئاسة الأركان العامة الإسرائيلية بتل أبيب ، كان الملحق العسكرى الإسرائيلى بباريس الكولونيل يوسف نحمياس ، يدلى فى هذا التواطؤ الجديد بدلوه ، ويضع مع وزير الدفاع الفرنسى الخطوط المتوازية للخطة العسكرية الثنائية الجديدة من الزوايا السياسية والاستراتيجية (٤٠) .

وأحسن الجنرال كيتلى برائحة ما يدبر خلف ظهره ، فبادر بعقد مجلس الحرب قبل منتصف ليلة ٤/٣ نوفمبر ، وقد ضم كلا من الأدميرال بارجو ، والجنرال بوفر نائب القائد

العام للقوات البرية لعملية الغزو البحري ، والجنرال جايلز مدير الإدارة التكتيكية للقوات الفرنسية المنقول جوا ، والجنرال ماسو قائد فرقة المظلات العاشرة الفرنسية ، والبريجادير بتلر قائد مجموعة اللواء ١٦ المظلات البريطانية ، ولم يحضر هذا المؤتمر بطبيعة الحال ، الجنرال جازان لانشغاله في إعداد كتيبي المظلات الفرنسيين في معسكر ميشيل لوجران ، دون علم القائد العام للقوات المتحالفه الذي كان يتأرض مجلس الحرب في تلك اللحظة<sup>(٤١)</sup> .

واحتد القادة الفرنسيون خلال المؤتمر المنعقد بمركز قيادة العمليات المشتركة في ابسكوبي ، حتى نجح الأدميرال بارجو في إجبار الجنرال كيتلى على الرضوخ لوجهه نظره ، وتنفيذ الخطة " تليسكوب " التي تبلورت في شن عملية تعرضية مزدوجة ، هي - في جوهرها - مزيج من الخطة " سيمبلكس " ( أوميليت ٢ ) والخطة " موسكيتير " المعدله النهائية العتيدة ، على أن يتم تنفيذ الخطة تليسكوب خلال أيام ٤ ، ٥ ، ٦ ، نوفمبر ١٩٥٦ على الوجه التالي<sup>(٤٢)</sup> .

١ - في صباح يوم ٤ نوفمبر تتم القوات الجوية الانجلو فرنسية تدمير المدفعية الساحلية ، واجهزة الرادار ، والمدفعية المضادة للطائرات ، ومراكز المقاومة في منطقة رأس الشاطيء بيورسعيد .

٢ - في صباح ٥ نوفمبر تنفذ العملية سيمبلكس ( أوميليت ٢ ) ؛ فيهب جنود المظلات البريطانيون فوق مطار الجميل غرب مدينة بورسعيد ، بينما يهبط جنود المظلات الفرنسيون جنوب بورسعيد وفي بور فسواد ، فيؤمن بذلك المحيط الخارجى لمنطقة رأس الشاطيء .

٣ - ومع صباح يوم ٦ نوفمبر يبدأ الغزو البحري للعملية موسكيتير المعدلة النهائية . وانفض مجلس الحرب الذى دعا إليه الجنرال كيتلى بعد منتصف ليلة ٣ / ٤ نوفمبر لينعقد مرة أخرى في الساعة الرابعة فجراً بوصول السير انتونى هيد وزير الحربية البريطانية إلى ابسكوبي موفداً من الحكومة البريطانية ليزيح الستار عن هذا الغموض وتلك البوادر التي تنم عن تصدع بجهة القيادة العسكرية المتحالفة . وحضر عن الجانب البريطانى كل من السير انتونى هيد والجنرالات جيرالد تمبلر رئيس هيئة أركان حرب الإمبراطورية البريطانية ، وكيلى ، وهويس رئيس إدارة التخطيط المشترك ، والمستر مورى المستشار الدبلوماسى ، كما حضر عن الجانب الفرنسى كل من الأدميرال بارجو والجنرال جازان - الذى كان قد عاد لتوه

من مهمة إعداد كتيبتى المظلات الفرنسيتين بمعسكر ميشيل لوجران - والمسيو بابان المستشار الدبلوماسى . وبعد أن استنفد الطرفان كل أسباب العتاب ، انفضت الجلسة فى الساعة السادسة والنصف من صباح ٤ نوفمبر وقد التأم الصدع ظاهريا ، وارتضى الجمع العود إلى التعاون والتكاتف ، مدركين ضخامة التبعة ومقدرين أخطار المسئولية .

هذا ولم يفت القيادة الفرنسيون - حفظا لماء الوجه - أن يتصلوا فى نهاية المؤتمر من توأطئهم الثانى مع إسرائيل ، وبذلوا الوعد بالعمل داخل اطار خطة تيلسكوب نصاً وروحاً .

### التعليمات الأخيرة :

ومع فجر يوم ٤ نوفمبر ، أخذت هيئات أركان الحرب توفق بين الخطة « تيلسكوب » وبين التعليمات الجديدة التى صدرت إليها ، وقد أضاف الجنرال أندريه بوفر عملية إسقاط جنود المظلات فوق بور فؤاد ، كما أعيد توجيه عمليات الطيران والبحرية . وفى العاشرة صباحا كان كل شئ قد أعد ووزعت على كل مسئول خطة تعديل « تيلسكوب » على العملية « موسكيتير » ، مع إضافة رقم (١) على التعليمات الصادرة بالنسبة للعملية ، وفى الحال بدأ تحميل السفن بصفة نهائية فى ميناء ليماسول وبمجرد اتمام ذلك صعد الجنرال بوفر فوق الطراد جان بار لإصدار تعليماته الأخيرة إلى الضباط الذين سيشاركون فى العملية ، وفى الساعة السادسة مساء ، صدر أمر الإبحار<sup>(٤٣)</sup> .

ولم تكن هذه السفن تحمل سوى الموجات الأولى التى سيتم إبرارها الى شاطئ الغزو صباح ٦ نوفمبر ، أما القوة الرئيسية للغزو فسوف تلحق بها فى المرحلة التالية . وفى اليوم التالى (٥ نوفمبر) التقت السفن الفرنسية فى النقطة المحددة "ى" مع السفن البريطانية ، التى أبحرت من مالطة وسارت العمارتان البحرىتان فى خمسة أرتال - ثلاث بريطانية واثنان فرنسيان - خلف ستار من سفن الكراكات<sup>(٤٤)</sup> .

### العملية المحمولة جوا والإبرار :

وفى حوالى الساعة السابعة والنصف صباح ٥ نوفمبر ، هبطت المظلات البريطانية بقيادة البريجادير بتلر فوق منطقة الجميل ؛ حيث صادفت مقاومة عنيفة من القوات المحلية المؤيدة بالدفاع الشعبى ، وتلتها بعد ربع ساعة عملية المظليين الفرنسيين فى منطقة الإبرار المحددة لها

جنوبى قناة الوصل التى تربط قناة السويس ببحيرة المنزلة من ناحية الغرب<sup>(٤٥)</sup> ، ثم أعقبها عملية الإبرار فوق الرسوة ويورفواد وهكذا بدأت عملية الإبرار .



ثم أعقب ذلك عملية اقتحام جوى رأسى بالحوامات من حاملات الطائرات الى رأس شاطئ الغزو ، وتعتبر أول عملية اقتحام جوى رأسى فى التاريخ .  
والى أن انتهى الغزو البحرى الأنجلو فرنسى بوقف إطلاق النار ، لم يكن قد تم تأمين رأس الشاطئ ، بل انحصرت قواته داخل جيب صغير طويل ، مع التورط فى قتال عرضى داخل المناطق المبنية من مدينة بورسعيد بما حصر معظم أعمال القتال الرئيسية على امتداد شارعين فقط ، هما شارع محمد على وشارع السلطان حسين ، الذى أطلق عليه بعدئذ اسم شارع الشهداء .

وخلال هذه المرحلة عملت القوات المسلحة المصرية وقوى النضال الشعبى فى التحام كامل على دحر الغزو البحرى ، ونجحت فى تثبيت قوات الإبرار الجوى البريطانى الفرنسى طوال يوم ٥ نوفمبر ، كما أنزلت بقوات الإبرار البحرى يوم ٦ نوفمبر خسائر كبيرة ، وتمكنت من تثبيت العدو داخل منطقة رأس الشاطئ ، ومنعته من تأمينها وعرقلت انطلاقه خارجها صوب الإسماعيلية .

ونتيجة لهذه الجهود أمكن تجميد الأوضاع على الاتجاه الشعبى لقناة السويس بما أوضح أن أى مجهود إضافى تبذله قوات الغزو للانطلاق من رأس الشاطئ ، سوف يكون باهظ التكاليف . ولم يعد أمام حكومتى المملكة المتحدة وفرنسا والحالة هذه - بالإضافة للضغوط السياسية العالمية الواقعة عليها - إلا أن ترضخا لقرار وقف إطلاق النار ، وتفضده اعتباراً من الساعة الثانية بعد منتصف ليلة ٧/٦ نوفمبر .

### المعتدون يطلبون هدنة :

بعد استيلاء الفرنسيين على منطقة الرسوة ومحطة مياه بورسعيد ، وقطع الاتصال البرى مع الاسماعيلية طلب " الكولونيل شاتو جوير " من المهندس المصرى المقيم فى محطة المياه مساعدته فى الاتصال بالسلطات المصرية فى المدينة ؛ للاتفاق على تجنيب المدنيين ويلات القتال . وبعد محاولات متعددة ، أمكن الاتصال بالقائد المصرى لقوات بورسعيد الذى رفض الطلب فى بادىء الامر . وفى حوالى الساعة الرابعة عصر يوم ٥ نوفمبر ساء الموقف بمدينة بورسعيد نتيجة قطع المياه عنها ، وعن المستشفيات . فضلا عن تعرض المدنيين للقصف الجوى العنيف الذى تسبب فى المئات من الضحايا ، وبناءً على طلب السلطات المدنية فى بورسعيد ، قبل القائد المصرى الطلب الذى سبق أن تقدم به قادة القوات المعتدية (٤٦) .

كانت الأسباب الحقيقية وراء هذا الطلب من جانب المعتدين ، هى : أولاً كسب الوقت وتخفيف الضغط على قوات المظلات ، وثانياً الحصول على مهلة لإعادة التنظيم وإخلاء الجرحى . أما اسباب قبول الطلب من الجانب المصرى ، فكانت الرغبة فى إعادة المياه للمدينة التى اشتعلت بها الحرائق الكثيرة ، وإيقاف قصف الأهالى المدنيين والنازحين عنها عن طريق بحيرة المنزلة ، ودفن القتلى حتى لا تنتشر الأوبئة بالمدينة .

ورغم ان القائد المصرى قد أوضح الاسباب الحقيقية لخطورة ورفض بحث أى شروط خاصة بالتسليم ، موضحاً أن المدينة لم ولن تستسلم دون قتال ، وأن البحث يجب أن يكون مقصوراً على الاتفاق على إيقاف إطلاق النيران بصفة مؤقتة ، إلا ان الجانب البريطانى ادعى أن بورسعيد قد استسلمت . أما حقيقة ما حدث فتتلخص فى أن أقدم القادة البريطانيين فى بورسعيد فى ذلك الوقت ، وهو البريجادير بتلر قائد اللواء ١٦ المظلات ، تقدم ببعض الشروط المكتوبة إلى القائد المصرى الذى رفض مجرد الاطلاع عليها . وأستقر الرأى أخيراً على إيقاف النيران مؤقتاً حتى الساعة التاسعة والنصف مساءً ، ولما سئل القائد المصرى عند مغادرته محطة المياه عن رأيه فى الشروط المعروضة أوضح لهم أنها لا تستحق البحث ، وأن القتال سوف يستأنف بمجرد انتهاء الفترة المحددة .

وكان هذا التصرف إجراءً محلياً بحثاً ؛ إذ لم ينجح القائد المصرى فى الاتصال بالقاهرة رغم تكرار محاولته ذلك ، فلم تعلم أى جهة فى القاهرة بهذا الاتفاق ، وكان الهدف الأساسى من قبول إيقاف إطلاق النيران هدفاً مدنياً ، وإن كان قد ترتب عليه بعض الفوائد العسكرية مثل إعادة تنظيم القوات وكسر حدة هجوم العدو الجوى . كما أعيدت المياه مرة أخرى إلى المدينة فى نفس الليلة . وليس أدل على كذب ادعاء التسليم من أن القائد البريطانى بالمدينة عندما يقن من رفض القائد المصرى بحث أى شروط ، طلب مد فترة إيقاف إطلاق النيران حتى الساعة التاسعة والنصف لكى يتمكن من اتمام إخلاء جرحاه (٤٧) .

### اكاذيب فى مجلس العموم والامم المتحدة :

طارت أنباء ما حدث فى بورسعيد إلى سفينة القيادة فى عرض البحر ، ومنها الى قبرص ، ثم الى لندن وباريس ، وخلال هذه المرحلة الطويلة تعرضت الحقيقة إلى تغيرات كبيرة خلقتها أحلام وآمال المعتدين إلى أن تلفقها رئيس وزراء بريطانيا ، وهو يقف أمام مجلس العموم يواجه الانتقادات والمطالبه باستقالته ، فتلقف هذا الخبر ليخرج به من ورطته ، بأن أعلن للتو واللحظة عن استسلام بورسعيد ، فضجت القاعة بالتصفيق (٤٨) وكان إيدن يعتقد وقتها أنه قد ضمن النصر ، إلا أن هذا النصر كان بعيداً ؛ إذ توقف جنود المظلات البريطانيين غرب المدينة حيث أصبحوا محصورين هم ورجال المظلات الفرنسيين فى نصف دائرة حول "محطة المياه" ، بينما المصريون يحيطون بهم من كل جانب .

لقد انقلب نبا إيقاف النيران المؤقت الذى طلبه القائد الفرنسى وأيده القائد البريطانى المحلى إلى خبر خلقه الخيال عن استسلام مدينة بورسعيد . وهكذا تصرفت المملكة المتحدة فى ذلك اليوم بنفس الأسلوب المضلل الذى تصرفت به إسرائيل فى اليوم الأول للقتال يوم ٢٩ أكتوبر ، حين ادعت أن مجموعة جنود المظلات التى أسقطتها فى منطقة صدر الحيطان تشكل تهديداً لقناة السويس ، بينما كان هؤلاء الجنود يحفرون الأرض بأظافرهم بحثاً عن الحماية والأمان .

هكذا فعلت المملكة المتحدة حين ادعت سقوط مدينة بورسعيد ، لمجموعة ماثلة من جنود المظلات ، كانت هى الأخرى تعانى من الفشل والخسائر ، مما دفع قادتها لطلب هدنة مؤقتة لكسب الوقت وإخلاء جرحاهم .

وبينما كان إيدن يعلن فى مجلس العموم نبا إستسلام بورسعيد كان الرئيس عبد الناصر يؤكد للسفير الأمريكى فى القاهرة أن مصر ستقاتل ، وأن القاهرة ستكون ' ستالينجراد جديدة ' .

وفى نفس الوقت كانت إذاعة دمشق تؤكد عزم مصر على مواصلة القتال ، بينما أخذ المذيعون العرب فى قبرص يهجرون محطة الإذاعة ، بعد أن أعلنوا على الملأ رفضهم لما يجرى ضد مصر .

وإزداد موقف بريطانيا سوءاً أمام العالم ، باستقالة وزير ثالث هو السير إدوارد بويل وزير الدولة لشئون الخزانة ليلحق بزيمليه ، اللذين سبقوه ، وهما والتر مونكتون وأنتونى ناتنج .

وأسرعت بريطانيا إلى الأمم المتحدة - فى محاولة للتخفيف من حدة الرأى العام العالمى ضدها - تعلن كذبا أنها ستوقف القصف الجوى ضد مصر ، بينما كانت طائراتها مستمرة فى قصفها ، وسفن الغزو الأنجلو فرنسى تقترب من شاطئ الغزو البحرى ببورسعيد فى صباح اليوم التالى . وهكذا استمر المخطط العدوانى فى سيره ، أما الموقف السياسى فقد خيم عليه جو غريب ينذر بهبوب عاصفة خطيرة .

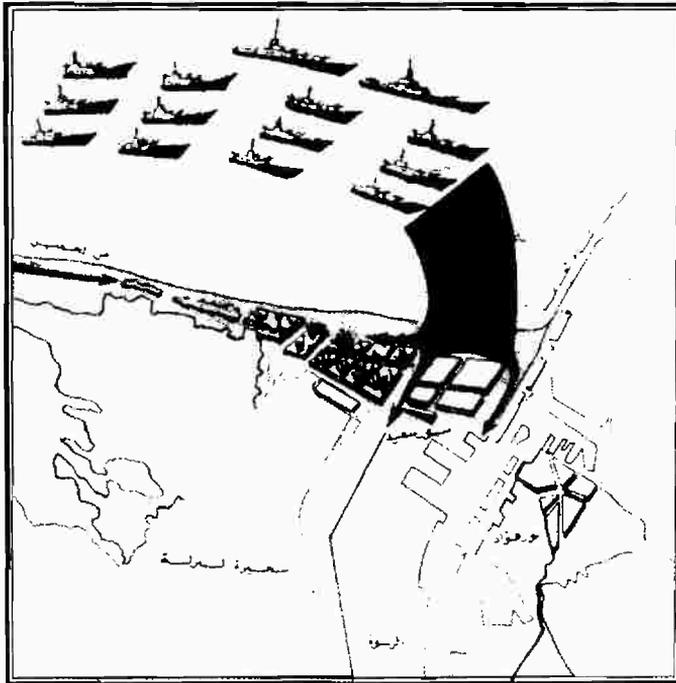
### موقف الجبهة الداخلية المصرية :

صمدت الجبهة الداخلية وتكاتفت وراء الرئيس عبد الناصر ، ولم يحدث ما توقعته

قوى العدوان التي كانت على ثقة من سقوط نظام حكم الرئيس عبد الناصر ، بمجرد قصف الأهداف العسكرية بالقنابل . ولما حطموا محطات الإرسال المصرية ، ليفقد الرئيس وسيلة اتصاله بالشعب بادرت محطة إذاعة دمشق بمواصلة الرسالة مستهله إذاعتها قائلة . . . هنا القاهرة ، ثم أملوا أن يسقط النظام بعد عملية الغزو البحري لشاطئ بورسعيد فإذا يتمك الشعب بالرئيس عبد الناصر يزداد ، وهو ينادى من فوق منبر الجامع الأزهر : " . . . سنقاتل . . . سنقاتل " (٤٩) .

وأبدت بورسعيد وشعبها وقواتها مقاومة نشطة ، دخلت بها في سجل المدن الصامدة التي نالت إعجاب العالم ودفعته الى تسجيل وطنيتها وبسالتها ، وقد استمر قصف المدينة من الأسطول والطائرات طوال يوم ٥ نوفمبر .

وفي صباح ٦ نوفمبر ، بدأ الغزو البحري بتزول القوات الأنجلوفرنسية على ساحل بورسعيد وبورفؤاد ، وواجهت بورسعيد موجات الغزو المتتالية ، معتمدة على قواتها المسلحة وقوى الدفاع الشعبي (٥٠) .



مع ضوء الصباح اقتحمت  
القوات الأنجلوفرنسية ساحل  
بورسعيد في حماية نيران مدفعية  
الأسطول وقنابل الطائرات

وفي الساعة الثانية من فجر ٧ نوفمبر ، أوقفت المملكة المتحدة وفرنسا إطلاق النار ، بعد أن تحقق الفشل ، وتأكدت كل منهما ان حسابات النصر والهزيمة كان يجب ان تتم بدقة أكبر ، وأن كسب مصر المعركة السياسية فوت عليهما كسب المعركة العسكرية (٥١) .

## تعليق

وعندما يثور السؤال . . هل كانت مصر تتوقع عدواناً اسرائيلياً ؟ تكون الإجابة : إن الصراع العربي الإسرائيلي صراع يتسم بالاستمرارية ؛ إذ إن أسبابه كانت وما زالت قائمة . فاحتمال قيام اسرائيل بالعدوان أمر قائم في كل وقت . ولذلك كان العدوان محتملاً وإن كان مستبعداً فى ذلك الوقت بالذات ؛ إذ لم تكن اسرائيل طرفاً مباشراً فى الصراع الذى كان يدور بين مصر والمملكة المتحدة وفرنسا على القناة ملكيتها .

كما لم يكن يجول بفكر أحد أن تنزلق كل من الإمبراطورية البريطانية والإمبراطورية الفرنسية لدرك التواطؤ مع إسرائيل فى القيام بعدوان على مصر .

وعندما يثور التساؤل . . هل كانت مصر تتوقع عدواناً ضدها من المملكة المتحدة وفرنسا ؟ تكون الإجابة : بأنه كان احتمالاً وارداً عقب تأميم شركة قناة السويس ، إلا أنه مع مضى الوقت أصبح احتمالاً ضئيلاً بعد موافقة مجلس الأمن على النقاط الست ، وانفراج الأزمة واندفاعها فى طريق الحل السلمى ؛ خاصة بعد تحديد موعد لقاء الدكتور محمود فوزى وزير خارجية مصر مع كل من سلوين لويد وزير خارجية المملكة المتحدة وكريستيان بينو وزير خارجية فرنسا مساء ٢٩ أكتوبر فى جنيف ، بحضور داج همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة ، وهو نفس يوم العدوان الذى اتفق عليه ثالث التواطؤ (٥٢) .

ورغم ذلك فإن القيادة العسكرية المصرية لم تستبعد العدوان ؛ إذ جاء فى تقرير القيادة العامة للقوات المسلحة عن الموقف العسكري فى شرق البحر المتوسط فى سبتمبر ١٩٥٦ ترجيحاً بقيام فرنسا والمملكة المتحدة بالهجوم على منطقة الإسكندرية أولاً بغرض استدراج قواتنا المدرعة إلى غرب الدلتا لتهيئ الفرصة لغزو منطقة القناة بنجاح ، وأن الفاصل الزمنى بين العملية الخداعية ضد الإسكندرية والعملية الرئيسية ضد القناة لن يكون طويلاً (٥٣) .

وعندما يثور السؤال . . هل كان هناك إحساس بالتواطؤ الثلاثى ، عندما بدأت إسرائيل العدوان عصر يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ؟

تكون الإجابة : لم يكن هناك احساس بذلك خاصة ، وقد بدأت أزمة قناة السويس تنجلي ، ولذلك فقد صدرت الأوامر لقوات سيناء بالتمسك بمواقعها الدفاعية قرب الحدود الشرقية ، وعلى الأخص منطقة أبو عويقيلة والدفاع عن مواقعها طبقا للخطة المعتمدة .

ثم دفعت قوات دعم إضافية ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر لمواجهة العدو في ممر متلا ، كما دفعت الفرقة الرابعة المدرعة صباح يوم ٣٠ أكتوبر لاتخاذ مواقعها في منطقة بير روض سالم ، بل حدث التفكير خلال ليلة ٣٠/٣١ أكتوبر في إسقاط قوات المظلات المصرية غرب منطقة الكونتلا ؛ للحيلولة دون اتصال أى قوات برية إسرائيلية متقدمة نحو الغرب مع القوات التي أسقطت في صدر الحيطان . . إلا أن تطور الأحداث حال دون انمامها .

ويتضح مما سبق أنه طيلة يومى ٢٩ / ٣٠ أكتوبر ، لم يكن هناك إحساس لدى القيادتين السياسية والعسكرية المصرية بوجود تواطؤ بين إسرائيل وفرنسا والمملكة المتحدة ، بل كان الفكر السائد أن إسرائيل تقوم بمغامرة محدودة كوسيلة ضغط قد تفيده " فى تلين " موقف القيادة السياسية تجاهها .

وعندما بدأت طائرات الكانبرا البريطانية فى الظهور بطريقة فردية فوق منطقة القناة ومدينة القاهرة ، راحت بعض عوامل الشك تتسرب إلى ذهن القيادة السياسية والرئيس عبد الناصر .

فلما صدر الإنذار الأنجلوفرنسى قطع الشك باليقين ، خاصة عندما طالب مصر بأن تبعد بقواتها العسكرية لمسافة ١٦ كيلومترا غرب القناة ، وأن تتقدم إسرائيل غرباً حتى ١٦ كيلومتراً من القناة ، وأن تسمح مصر بنزول القوات الأنجلو فرنسية لتحتل المراكز الرئيسية على إمتداد قناة السويس ، حتى يتم الوصول الى تسوية سلمية تضمن حرية الملاحة لجميع الدول . حيثئذ أيقن الجميع أن هناك تأمرًا وتواطؤ بين هذه الدول الثلاث : إسرائيل والمملكة المتحدة وفرنسا .

## توثيق الفصل الثانى



- (١) محمد حسنين هيكل - ملفات السويس ، ص ٥٣١ - ص ٥٣٢ .
- (٢) المصدر السابق نفسه - ص ٥٣١ ، انظر كذلك محمد حسنين هيكل - قصة السويس ، ص ١٢٦ .
- (٣) وثائق وزارة الحربية المصرية - غير منشورة - الأوراق الخاصة بالالوف عساف سمحوني ، ملف يحمل اسم هذا القائد الإسرائيلي ، انظر كذلك ديان موشيه - يوميات معركة سيناء ، ص ١١٩ - ص ١٣٥ ، صلاح بيسيوني - مصر وأزمة السويس ، ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٣ .
- (٤) Murphy, Robert – Diplomat Among Warriors, pp. 105–106, See Also : Fimer, Herman – Dulles Over Suez, pp. 215–219.
- (٥) Eisenhower, Dwight – Op.Cit., 215–218, See Also : Dupuy, Trevor – Elusive Victory, pp. 222–223.  
انظر كذلك صلاح بيسيوني - مصر وأزمة السويس ، ص ٢١٠ .
- (٦) Ibid, pp. 232–234; See Also : Neff, Donald – Warriors At Suez, pp. 492–494.
- (٧) Neff, Donald – Worriors At Suez, pp. 502–506, See Also : Robertson, Terence – Crisis, pp. 250–258.
- (٨) محمد حسنين هيكل - ملفات السويس ، ص ٥٣٣ ، انظر كذلك أمين هويدى ، حروب عبد الناصر ، ص ٦٨ .
- Mahmoud Fawzi – The Suez War 1956, pp. 123–124.
- (٩) Neff, Donald – Warriors At Suez, pp. 510–512, See Also Trevelyan, Humphry, Robert – The Middle East in Revolution, pp. 165–167.  
Ibid, pp. 515–516. (١٠)



- (٢٢) أمين هويدى - حروب عبد الناصر ، ص ٧٣ .
- (٢٣) عبد اللطيف البغدادي - مذكراته ، الجزء الثاني .
- (٢٤) مجموعة خطب الرئيس عبد الناصر عام ١٩٥٦ .
- (٢٥) المصدر السابق - فخ السويس ، ص ٣٥٢ .
- (٢٦) Op.Cit. : Warriors At Suez, pp. 508 – 509.
- (٢٧) ايدن ، انتونى - مذكراته ، الجزء الثاني ، ص ١٢٠ - ص ١٢٥ .
- (٢٨) Dulles, T.F. War or Peace, London 1957, p. 84.
- انظر كذلك ناتنج أنتونى ، أنتونى - ناصر ، ترجمة شاكرا ابراهيم ، ص ١٨٤ - ١٨٦ .
- (٢٩) بوفر ، أندريه - حملة السويس ١٩٥٦ ، ترجمة المخابرات العامة ، ص ٨٠ - ص ٨٢ .
- (٣٠) أزو ، هنرى - فخ السويس ، ص ٣٥٧ .
- (٣١) بوفر ، أندريه - حملة السويس ١٩٥٦ ، ترجمة المخابرات العامة ، ص ٨٢ - ص ٨٦ ، انظر كذلك أزو ، هنرى - المرجع السابق ، ص ٣٥٧ - ص ٣٥٩ .
- (٣٢) المرجع السابق نفسه - حملة السويس ١٩٥٦ ، ص ٨٤ - ص ٨٦ .
- (٣٣) بوفر ، أندريه - المرجع السابق ، ص ٨٥ .
- (٣٤) المرجع السابق نفسه ، ص ٨٥ - ص ٨٦ .
- (٣٥) المرجع السابق نفسه، ص ٨٧ - ص ٨٨ ، انظر كذلك أزو ، هنرى - فخ السويس ، ص ٣٧٥ - ص ٣٧٦ .
- (٣٦) Robertson, Terence, Crisis, pp. 133–134.
- (٣٧) بوفر ، أندريه - حملة السويس - ترجمة المخابرات العامة ، ص ٨٩ - ص ٩١ .
- (٣٨) بوفر ، أندريه - المرجع السابق ، ص ٩٣ - ص ٩٥ ، انظر كذلك أزو ، هنرى - فخ السويس ، ص ١٣٥ - ص ١٣٨ .

- (٣٩) Love, Kenent – Suez The Twice Fought War, p. 210.
- (٤٠) Childers, Erskine – The Road To Suez, pp. 138-141.
- (٤١) Ibid, p. 142.
- (٤٢) آزو ، هنرى - فتح السويس ، ص ٣٧٨ ، انظر كذلك كلارك ، م . - الهبوط من السويس ، مصلحة الاستعلامات ، الترجمة العربية رقم ٥١٣ ، ص ٦٤ .
- (٤٣) آزو ، هنرى - المصدر السابق ، ص ٣٧٨ ، ص ٣٧٩ . انظر كذلك :
- O'Ballance, Edgar – The Sinai Campaing 1956, London 1956, p. 70.
- (٤٤) بوفر ، أندريه - حملة السويس ١٩٥٦ ، ترجمة المخابرات العامة ، ص ٩٧ ، انظر كذلك :
- Love, Kennett, Suez The Twice – Fought War, p. 235.
- (٤٥) وزارة الحربية - حرب العدوان الثلاثى على مصر ، الجزء الثانى - المجلد الثانى ، طبعة ١٩٦٩ ، كود ٢/٣ ، ص ٢١٩ . كان العميد أح / صلاح الموجى هو قائد قوات بورسعيد ، وهو ضابط كفاء له تاريخه الكبير ، وهو لم يسلم المدينة بل وقع فى الأسر .
- (٤٦) مقابلة تمت بين العقيد دكتور / فطين أحمد فريد ، والعميد أح / صلاح الموجى قائد قوات بورسعيد بمنزله بالجيزة ، يوم الاثنين الموافق ٢٥ ابريل ١٩٩٤ .
- (٤٧) آزو ، هنرى - فتح السويس ، ص ٣٩٣ - ص ٣٩٤ .
- (٤٨) أمين هويدى - حروب عبد الناصر ، ص ٧٥ .
- (٤٩) صلاح بسيونى - مصر وأزمة السويس ، ص ٢٠٨ - ص ٢٠٩ .
- (٥٠) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٩ .
- (٥١) أمين هويدى - حروب عبد الناصر ، ص ٦٨ - ص ٦٩ .
- (٥٢) وثائق القيادة العامة للقوات المسلحة ، محفوظات القوات المسلحة ، تقرير القيادة العامة للقوات المسلحة ، سبتمبر ١٩٥٦ .
- (٥٣) المصدر السابق .